عسف
الإنس والجان
رواية
العنود البكر

ART_OF_BOOK
@ART_OF_BOOK

# الإهداء

إلى القارئ الذي يؤمن

"أن للشر رواية أخرى قد تبعث الموتى على يد قاتليهم"

إليك أحداثٌ انبثقت من رحم الواقع، ونسجَ الخيالُ بعضًا منها؛ لتغدو بين يديك قصةٌ تُروى.

## تنبيه!

**إذا أردت أن تنجو**؛ لا تنطق بأسمائهم ولا كلماتهم ولا تُظهِر فضولًا تجاههم.

**اقرأ بعينيك فقط.**

سفكتُ دمَه، وجعلتُه قُربانًا لأتباعه وأشياعه من الجن والإنس.

هذا الذي دمّرنا بلا رحمة.

انتهى كل شيء، لستُ خائفة بعد الآن.

لا بأس الآن بسجنٍ مؤبدٍ أو قَصاص!

فقد تحرَّر أخيرًا ذاك الشيء المكبَّل في صدري.

إنها حرية حدوث ما كنتَ تخشاه طيلة حياتك!

توقفتُ عن الركض، ها أنا أتنفس بعمقٍ، يعانق الأكسجين رئتاي، ويضخُّ الدَمَ البارد في شراييني، أكاد أستشعر برودة أنفاسي.

لستُ خائفة بعد الآن...

نعم، لقد قتلتُ أبي بلا أدنى شعورٍ بالذنب.

[1]

## عروب

لطالما كان أبي **عَسَّاف** أعظم أبٍ في عيني. منذ أن غادَرَت والدتي هذه الحياة، كرَّس نَفسه وحياته لِتَربيتنا أنا وشقيقتاي، ووهبنا كلَّ ما نَحتاجُه. كانت مُتطلباتُ الحياة صعبةً وجَمَّةً تُكسِرُ ظَهرَه حَرفيًّا، وكنتُ أعلمُ ذلك لكنَّه كان يُقاومُ كُلَّ شيءٍ مِن أجلنا، لم أَرَه يومًا عابسًا، بل على العكس تمامًا، كان بَشوشَ المُحيَّا والمَلقَى، حتى عندما كان يَتَصَبَّبُ عَرقًا كان يُمازِحُنا ويُلاعِبُنا!

كان يُرَدِّدُ على مَسامِعِنا دائمًا: "أنتُنَّ خيرُ ما ظَفرتُ به في هذه الحياة".

أتذكَّرُ جيدًا كيف كان يُدَلِّلُنا، فلا أستطيعُ نُكرانَ فَضلِه، ولا حَنانِه الذي كان يغدقُ به علينا بشكلٍ مُفرِطٍ وبلا حدودٍ.

كان يُراقِبُ مَلامِحَنا ليتحقَّقَ مِمَّا إذا كان شيءٌ ما يُؤرِّقُنا، أو أن هُنالِكَ ما يقلِقُنا، كُنَّا نَتباهى به دائمًا ونتحدَّثُ عنه لِزَميلاتِنا، أعتَزُّ به دائمًا، فهو أغلى ما أَملِكُ في هذه الحياة.

كنَّا نَعيشُ حياةً نُحسَدُ عليها مِن أَقارِبِنا وأَصدِقائِنا، كنَّا مُدَلَّلاتٌ جِدًّا بالرَّغمِ مِن حالِنا المَيسورِ.

كُنَّا بِخَيرٍ إلى أن سَكَنَ بِالقُربِ مِنَّا رَجُلٌ مع عائِلَتِه يُدعى **أبو محمد**.

مُنذُ مَجيئِهِم وسكنِهم بِقُربِنا أحاطتهم هالة من الغموض والغرابة، لم تريحني فكرة وجودهم، بدأ الجار **أبو محمد** بالتودُّدِ إلى أبي، وقام بدعوتِنا إلى منزلِهِ لنتعرَّف على أهل بيتِه كَونِهِم في غُربةٍ وهذه البلاد ليست بلادِهم، فقد كان يبحثُ عن شيءٍ مِن الأُلفَةِ بِنا لزوجتِه وأَطفالِه. أصرَّ أبي أن نلبّي دعوته فذهبنا إليهم في عطلة نهاية الأسبوع.

وصلنا أنا وأختاي **عالية** و**عهد** إلى منزلهم، وبمجرد دخولنا صُدمنا بالمنظر الذي رأيناه، ما هذا؟!

المنزل أشبه بحظيرةِ حيوانات! يربّونها في أرجائه! انتابتني حالةٌ من الهلعِ من رؤية الدجاج والقنافذ والسلاحف والقطط التي تسرح معهم في المنزل بلا أقفاصٍ أو صناديق!

يبلغ عدد أفراد أسرته عشرة، تسعة أطفالٍ أعمارهم متقاربة، وزوجته الحامل.

أُصِبنا بالذهول، فكان الوضع في منزلِهم أشبهَ برحلةِ أطفال الروضة إلى حديقة الحيوان!

استقبلنا **أبو محمد** في غرفة الضيوف وكان بابَها مفتوحًا على غرفة المعيشة التي لا مكان للجلوس فيها، حيث كانت مفروشةً بسجادةٍ

زرقاء، ولا يوجد أريكة أو كرسي في تلك الصالة، كانت غريبة تمامًا كأصحابها!

قدمت الزوجة لنا ماءً أصفر اللون! وأردفت قائلة:

– الماء أصفر لأننا نضع فيه الزعفران، تفضلن.

– لا أحب الزعفران.

– ماذا عن الباقي؟

– لا يُحببن الزعفران، يتحسّسنَ منه منذ الطفولة.

– غريبٌ جدًا، لابدّ أن واحدةً منكن لا تتحسَّس منه، تذوَّقنَه فقط، تفضلن.

– لا، شكرًا لك.

كانت مُصرَّةً على أن نشرب من هذا الماء، لكننا استطعنا الإفلات من ذلك رغم إصرارها الشديد. بعدئذٍ، قدَّمَت لنا بعض المأكولات، فشعرتُ أنا وشقيقتاي بالحرج. تذوَّقت أختاي القليل منها، وأنا أُومئ إليهما ألا تأكلا من تلك المأكولات. اضطررتُ لإنهاء الزيارة قائلةً:

– علينا أن نستأذنكم الآن.

– إلى أين؟ مازال الوقت مبكرًا ثم إننا لم نتبادل أطراف الحديث بعد.

- لا بأس، في وقتٍ آخر. علينا الذهاب.

نهضنا واستعددنا للخروج، وفي هذه الأثناء شهقت أختي **عهد** واتسعت حدقتا عينيها!

فنظرنا إليها وسألتُها:

- ما الأمر؟

- لقد رأيت جسمًا غريبًا خُطِف من غرفة المعيشة.

ابتسمت **أم محمد** ابتسامةً صفراء تشبه الماء الذي قدمته لنا، وأردفَت قائلة:

- ربما قطةٌ أو أحد العصافير. وخُيِّل إليكِ غير ذلك.

- لا أظنُّ ذلك، لقد كان بهيئةِ شخص!

قطعتُ حديثهما بقولي: نراكم في وقتٍ آخر.

أمسكتُ بيدِ أختي **عهد** التي كانت ترتجف خوفًا مما رأته، وخرجنا من ذلك المنزل أخيرًا لكن أبي لم يأتِ معنا.

عُدنا إلى المنزل ولا زالت أختي **عهد** تقسِمُ على أنها شاهدت شيئًا غريبًا ومخيفًا يُخطَف من غرفة المعيشة، فتحدثنا عن غرابةِ منزلهم وقرَّرنا

ألا نَحتكَّ بهم ولا نقترِبَ منهم، وتوقعنا من أبي ذات الشيء لكنه بقي في منزل **أبي محمد** ولم يعد إلى المنزل إلا بعد صلاة الفجر.

كنت أنتظره ولم أستطع النوم خوفًا عليه وعندما رأيته قلت له:

- تأخرتَ كثيرًا يا أبي. فأجابني مسرعًا:

- سأجلبُ شيئًا من غرفتي، وسأعود إلى **أبي محمد**.

- ألم تنتهِ الزيارة بعد؟ ما الذي ستأخذه معك؟

- خواتمي.

بدا على وجه أبي سرورٌ لا يوصَف وكأنه قد وجد ضالّته التي طالما كان يبحث عنها!

الأغلى على قلبِ أبي نحن بناته، ثم خواتمه المرصَّعة بالأحجار الكريمة التي يجمعها بشغفٍ ويشتريها بأغلى الأثمان دون اكتراث. يحتفظ بهذه الخواتم في خمسِ عُلبٍ مخمليّةٍ ذات أغطية زجاجية جميلة، بألوانٍ مختلفةٍ كالأحمرِ والأزرقِ والبنفسجيّ. إنه مغرمٌ بها! وفي كلّ يومٍ يرتدي خاتمًا منها. لديه حتى أدوات خاصة لتنظيفِها والعنايةِ بها، فيتفحَّصها بالضوء والمِجهر من شدة ولعِه بها.

خلدنا أنا وشقيقتاي إلى النوم، وحين وضعتُ رأسي على الوسادة داهمني شعورٌ بالغرابةِ وكنت أفكر متى يعود أبي. تقلَّبْتُ في فراشي بقلقٍ

إلى أن سمعتُ صوت الباب الرئيسي يُغلَق فعلمت أنه قد عاد وغططت في نوم عميق...

" انبثق وجهها المتلألئ من صحراءٍ بيضاء، ترتدي فستانًا كَلونِ السماء الغائمة. اقتَربَت مني بنظرةٍ يملؤها الأسى، مسَحَت على وجهي وشعري وقالت: امنعيه يا **عروب**، احميه مما هو شغوف به. وفاضت عيناها بالدموع.."

استيقظتُ من ذلك الحلم مفزوعة بدقات قلبٍ متسارعة! فكّرتُ فيما تقصده أمي بتحذيرها، وعلمتُ أنها تقصد أبي بالتأكيد، لكن ممَّ أمنعه؟

نفضتُ فراشي وبدأت يوم إجازتي الأول باستشعار نعمة التوقف عن العمل لمدة شهر.

لا أستطيع تصوُّر فكرة أن أعمل طيلة حياتي بلا توقف، وعلى الرغم من ذلك؛ أحب عملي وأجده ضرورة لمساندةِ أبي في مصروفاتِ منزلِنا وشقيقتيّ. أحمدُ الله كثيرًا على تعاون شقيقتيَّ وتفهُّمَهما لظروفنا المادية، وهذه من نِعَمِ الله علينا.

تبلغ أختي **عالية** من العمر خمسة وعشرين عامًا، وهي أنثى ذكية، رقيقةٌ جدًا ولطيفةٌ جدًا، تُشبه والدتي كثيرًا، لذلك يُفضِّلها والدي ويُدلِّلُها. لديها قلبٌ حنونٌ لا يحمِل الضغائن. وهي مُغرمةٌ بالطهي حيث

كَرّست مجهودًا رهيبًا في تعلُّمِه وافتتحت مشروعًا لتشغل وقتها بما يُمتعها.

أما أختي **عهد** فتبلغ من العمر ستة عشر عامًا، وأعظم ما يُميِّزها أنها تملك شجاعةً وإقدامًا غريبين، فهي لا تخشى أحدًا أبدًا، ولا تَحترم أحدًا أحيانًا، سليطة اللسان، تمتاز بسرعة بديهة مذهلةٍ، وقدرةٍ على إلجامِ من يُحاورُها. ولديها فنونٌ قتاليةٌ تُبهرني حيث يُمكنها طرحي أرضًا بسهولةٍ عندما نتعارك، بالرغم من أنني أختها الكبرى؛ إلا أنها عندما تُعارِك لا ترى أحدًا. كما أنها مدمنةٌ على روايات الفانتازيا، وأنا في الحقيقة لا أفقه شيئًا عندما تتحدث عن شيءٍ منها، إذ لديها أجواءٌ خاصةٌ وطقوسٌ غريبةٌ أحيانًا.

لا أعلم مِمَّن ورثت شخصيتها!

أُحبهما في جميع أحوالهما، وطقوسهما، وحالاتهما المزاجية، ولطالما شعرت بأنني وُلدت لأكون أُمًّا لهما بالفطرة، فمنذ زمن بعيد وأنا مَن يهتم بهما أكثر حتى من والدتي، بحُكم ارتباطها بعملها كمُعلمة تربية إسلامية، والتي عاشت مع أبي قصة حُب جميلة جدًا تُلامس روحي كلما تذكرت لمعة عينيها وهي تَحكي لنا كيف بدأ الأمر مع أبي. لستُ هنا لأتحدث عن قصة حُب والديّ، ولن أتحدث أيضًا عن أنني ثمرة ذلك الحُب الطاهر. ولكني سأُخبركم ما حدث قبل أن تشهدوا فصل رأسي عن جسدي.

أمرٌ جنونيٌ تمامًا أن تقتل ابنةٌ أباها بلا أدنى شعور بالذنب! لا أعلم، ربما بعد أن تعرفوا قصتي قد تعذرون ضعفي وقلة حيلتي وألم روحي. لستُ هنا لأمارس دور الضحية، بل على العكس تمامًا، أنا وشقيقتاي من ضحايا المجتمع رغم شناعة ما فعلتُه. إلا أن أبي فعل الأشنع رغمًا عنه.

## [2]

عندما رأى **أبو محمد** مجموعة **عَسَّاف** المذهلة من الخواتم ذات الأحجار الكريمة، كانت بمثابة حصوله على كنز. وأخبره أن بإمكانه تفعيل طاقة الأحجار بنقعها بماء الورد والزعفران، وفي حال نقص ماء الورد من الوعاء الزجاجي، فإن طاقة الحجر تعمل بشكلٍ جيد، وأن هناك طرق أخرى لتفعيله.

عاد **عَسَّاف** إلى منزله متحمسًا جدًا ونفّذ ما طُلب منه بالحرف. جمع كؤوسًا زجاجيةً مزج فيها الزعفران بماء الورد ووزع فيها الخواتم ثم خلد إلى النوم.

بدأ الأمر مع **عَسَّاف** وكأنه تسلية ومزيد من الاهتمام بأحجارِه الكريمة، ولم يكن على درايةٍ بأنه يقحم نفسه وعائلته مع الجن.

" في يومٍ مشمس، خرج عَسَّاف إلى فناءِ منزله وتحت النخلة حفر حفرةً دفن فيها أحد خواتمه وسكب عليه شيئًا بلونٍ أصفر. وما إن نهض حتى انقلب كل شيء رأسًا على عقب! حَنِقَت السماء وتلبّدت بغمامةٍ سوداء، وشقَّ الرعدُ كبد الفضاء بأصواتٍ مدوية كأنها انفجارات متتالية. نظر عَسَّاف بذهول فاحتضن رأسه بيديه وجثا على ركبتيه أملًا في أن تزول تلك الغمامة السوداء."

نهض مفزوعًا من نومه. كان كابوسًا مريعًا جدًا، لم يكن يحظى بالأحلام عادةً فتوجّه إلى الكؤوس مباشرة قبل أن يغتسل...

وجد بعضها خالية من الماء وبعضها إلى منتصفه، بينما كانت أخرى ممتلئة. كان مذهولًا جدًا مما رآه، فشرد بذهنه متسائلًا: كيف للماء أن ينقص؟ هل تمتص الأحجار بطبيعتها المياه؟ ما التحليل الأقرب للصحة؟

ساورته الحيرة والشكوك فهاتف **أبا محمد** باحثًا عن يقينٍ يقطع به شكّه فأخبره بما حدث واستوضح من نبرته بأنه مسرور وأردف:

– اجلب لي الأحجار التي امتصّت المياه بالكامل والمنصّفة، وسأخبرك ما تفعله بها.

لا يزال **عَسَّاف** يجهل ما يضمره له ذلك الجار، غير أنه لاحظ منه اهتمامًا مشتركًا بالأحجار الكريمة. لم يستشعر بأنه سيقوده إلى وادٍ سحيق.

أحضر **عَسَّاف** الأحجار بناءً على طلب **أبي محمد** الذي تفحَّصها بعنايةٍ قائلًا:

– الأحجار تعمل بشكل جيد، وبعضها متعطِّشٌ لخدمتك.

– لخدمتي أنا؟

– نعم، أنت تملك هذه الأحجار منذ فترة، لكنك لم تحرِّر خدامها ليعملوا لصالحك.

– وما الذي يمكنهم فعله من أجلي؟

– كل ما تريده. يجلبون لك الحظ، المال، كل ما تشتهي.

– كيف ذلك؟

– بعد أن فعّلت طاقتها... عليك أن تستحضرهم.

ارتعد **عَسَّاف** وشعر بدوارٍ غريب للحظات وكأن طاحونة تطحنه برحاها، فرك جبينه وتنهَّد وأردف مستنكرًا:

– هل تقصد أن أستحضر طاقتها؟

– نعم، لا شك في ذلك، إنها مجرد روحانيات يختص الله بها الصفوة من عباده.

– هل سيلحق بي هذا الأمر ضررًا؟

أردف بمكر:

– لا، أبدًا... إلا إذا توقفت قبل أن تكمل ما بدأته، عندها ستتضرر.

اتسعت حدقتا عينيّ **عَسَّاف** وأردف:

– ما تقصد بذلك؟

بعد أن زرع **أبو محمد** بمكره المخاوف في ذهن **عَسَّاف** والتمس خوفه وعدم تراجعه؛ أخبره بحقيقة ما فعله... أخبره بوضوح:

– عَسَّاف، لكل خاتمٍ ساكنه من الجن، إما أن يكون محبوسًا فيه قسرًا أو مقيمًا فيه طواعية. سُكَّان الأحجارِ الكريمة متنوّعون؛ منهم السُّفليّ ومنهم العُلويّ، ولكي أكون صريحًا معك.. ما قمتَ به ليس استحضارًا للطاقة الروحيّة للحجر، بل قُربانًا لساكنِ هذا الحجر، لذلك أخبرتك أنهم متعطّشون لخدمتك.

جحوظ عينَيْ **عَسَّاف** ونبضات قلبه المتسارعة ورجفة شفتيه الباردتين من هولِ الصدمة مما فعل؛ كانت واضحة عليه، فاقترب من **أبي محمد** وأمسك يده بترجٍّ:

– لا أريد شيئًا من سكان تلك الأحجار. دعني أعيدها كما كانت، فلا رغبة لي في استخدامها.

سحب **أبو محمد** يده وأردف بحنق:

– لماذا جبنت فجأة؟ الأمر بسيط جدًا وأنا معاونٌ لك! ثم لا رجعة فيه، يجب أن تكمل ما بدأت وعندها إن شئت اطلب منهم أن يتركوك. لكن إن تركت الأمر معلقًا هكذا فستتضرَّر.

جمع **عَسَّاف** خواتمه بيدينِ مرتجفتين وأردف قائلًا:

– سأفكر بالأمر.

– لا تطِل التفكير، فسيزورون مناماتك ويقلقون عيشك ويعبثون بك.

توقف **عَسَّاف** متصلبًا، تذكَّر منامه، وكأنما سُكِب عليه دلو ماء بارد...

استدرك الأمر وأردف:

– حسبي الله ونعم الوكيل!

خرج **عَسَّاف** من بيت جاره بذهنٍ شاردٍ وخاطرٍ غائم، والمخاوف تعتصره.

فكر مليًّا ببناته، وتخيَّل ما قد يطالهن مما سيطاله من الضرر.

لعن نفســه ولعن شــغفه بتلك الأحجار التي بدَت له الآن أنها أصبحت لعنته.

[3]

## عروب

كانت هذه المرة الأولى التي أرى فيها أبي على غير عادته. وجهه مصفرًّا وملامحه جامدة دون أية تعابير، فسألتُه بحذر:

– هل أحضر لك الغداء؟

– لا.

بَدَت على ملامحه الحيرة والتشتت، ما جعلني أشعر بالخوف عليه فأردفتُ:

– ما بك؟ تبدو متعبًا!

– نعم، قليلًا.

– لنذهب إلى المستشفى لنطمئن عليك.

– لا بأس، سأنام قليلًا وسأتحسَّن.

نهض من مكانِه وتركني خلفه بذات الوجه البارد الذي لم أعهده قط!

"يركض على طريقٍ بلا ملامح. يركض خلف اللا شيء هاربًا من اللا شيء. أخيرًا، يصل إلى ذات النخلة في فناءِ منزله حيث دفن أحد خواتمه. وتبوَّل على موضع دفنه. وما إن نهض حتى انهمرت السماء بمطرٍ غزير. فابتلَّ جسده وشعر أن روحه ابتلَّت أيضًا، التفت ووجد بناته ينظرنَ إليه بسرور."

نهض بأنفاسٍ متسارعةٍ وكأنه حقًا كان يركض... التقط أنفاسه واستحقر نفسه بعد ذلك المنام الغريب المقزّز بالنسبة إليه.

## "ماذا لو كان شغفك هو مصدر تعاستك وهلاكك"

لا شيء أشد وطأة على الإنسان من أن يُسلَّط عليه ذهنه، وتغزوه المخاوف الوهمية، فتفتك بكل ذرةِ وعي وفطنةٍ في داخله، وتُصيّره إلى أسيرِ حلقةٍ مفرغةٍ يبحث فيها عن خلاص. هل سينجو؟ أم أن المخاوف قد حفرت بحوافرها في روحه، فبات **عَسَّاف** مشلول الإرادة، مُثقَلًا بإثمٍ لم يقترفه.

[4]

## هل يولد الأشرار... أشرارًا

## أم يُجبَلون على ذلك اعتياداً!

وُلِد قاسم، "أبو محمد"، في عائلةٍ توارثَت السحرَ والشعوذة، وعقدت مواثيق غليظة مع أكبر جبابرة الجن. كان والده يصطحبه إلى ضريحِ أحد الصالحين، ويتعبد به لعدةِ أيامٍ ثم يعود.

شارك ابنه كل أفعاله، وبعد وفاته، اختارت الجنُّ **قاسم** وريثًا لأبيه. وعندما بلغ الرابعة عشرة من عمره، اكتشفت أسرته أنه ممسوسٌ بالجنِّ. كان يهيمُ في الغابات، ويلتهم جِيَفِ الحيوانات نيئةٍ دون وعي، مدفوعًا برغباتِ الجان المتلبِّس به، والذي يجرُّه إلى الوديان والغابات بحثًا عن خلواته.

حرصَت والدته على قطع أي صلةٍ له بالجنّ، فأخفَت كل ما يتعلَّق بوالده من كتبِ السحر واستحضار الجن، لكن الشياطين دلَّته عليها.

أخرج كتاب "شمس المعارف الكبرى"، و"المندل، والخاتم السليماني، والعلم الروحاني"، و"الجفر"، وهي من أشهر الكتب في عالم الجان والسحر والشعوذة. انعزل في وادي نخلة بمحافظة تعز في اليمن.

وفي إحدى خلواته، استحضر أحد كبار الجن، "**كسفيائيل**"، وطلب منه تسخير خُدّام له. وافق **كسفيائيل** لكنه اشترط عليه أن يشرِكَ بالله، ويهين القرآن والذات الإلهية، وأن يتجنَّب مجالس الذكر، وأن يظل نجسًا ولا يغتسل. وإن اضطر للصلاة من باب الرياء، يصلي لشيطانٍ يتمثل له على هيئةِ خِنزيرٍ أو قرد، ويقرأ بآياتٍ قرآنيةٍ محرَّفة.

أصبح أهل القرية يُمجدونه ويعتبرونه من خيرة الناس وصفوتهم. يستنجدون به لعلاج مرضاهم، ويطلبون منه جلب الحظ والمحبة، فيطلب منهم قرابين يذبحونها ليستكمل الشيطان هدفه بشرك بني الإنسان وإخراجهم من الدين. الناس لا يرون ما يفعله سحرًا وشعوذة، بل يعتبرونها كرامات تناقلت بين الأجيال وهبة ورثها عن والده.

لكن في الحقيقة، كان يمارس الشعوذة والسحر الأسود بأبشعِ صورِها، منغمسًا في رذيلته وضنك حياته. لا تزين له خلوة إلا بحضرتهم، ولا يبيت ليلة إلا بمضاجعتهم. استمر على هذا المنوال إلى أن طلب منه كبيرهم أن يجلب له طفلة زوهرية، سمّاها له وذكر له مقرّها، وأوضح له أن كل ما عليه فعله هو أن يخطفها لبضعة أيام، وذلك بسبب عجزهم عن الوصولِ إليها لأن والدَيها يحصّنانها يوميًا.

ولدت عزَّة في قريةٍ عتيقةٍ ذات جدرانٍ طينيةٍ بالية، طفلةٌ فريدةٌ من نوعِها، شديدةُ الجمالِ، بعينينِ حَوْرَاوَينِ برَّاقتَين بهما حَوَل، وحدقةُ عينٍ رماديّة، وبياضُ عينِها اليُمنى يحملُ شامةً بُنّيّة.

منذ ولادتها، أبهرت عزَّة أسرتها ومن حولها بجمالِها اللافت وملامحها التي لم تكن كملامح العائلة المعهودة، مما أثار ذلك شكوك أهل القرية، فتناثرت حولها أحاديثٌ كثيرة بأن والدتها قد مارست الخطيئة مع رجلٍ من عرقٍ مما جعل الشيطان يعبث بروح زوجها، بالرغم من حبه الشديد لزوجته، وتفاقمت الخلافات بينهما حتى بلغت العلاقة حد الكراهية.

عندما بلغت عزَّة عامها الثاني، خطت خطواتها الأولى متأخرة وهادئة بشكلٍ مثير للريبة، إلى الدرجة التي جعلت والدتها تشكُّ في كونها على قيد الحياة. بدأ الأبوان يلاحظان أشياء غريبة وفريدة في طفلتهما، مثل الخط العرضيّ في راحة يدها الذي لا يشبه الخطوط المعروفة، والخط الطوليّ الذي يَشُق لسانها. استغرب الأبوان من هذا الأمر، وقرر الأب أن يستشير شيوخ القرية، فتبادر إلى ذهنه أنها قد تكون مسَّها جانّ.

وما إن أخبر أبو عزَّة الشيخ بذلك حتى اندهش، وقال:

– ابنتك زوهرية، يجب أن تحذر.

– ماذا تعني بذلك يا شيخ؟

– يولد الطفل الزوهري بصفاتٍ فريدة مثل التي لدى ابنتك. يعتبر الزوهري مفتاح الكنوز المخبأة تحت الأرض، ولأنه مرتبط بالجن -باعتباره أحد أبنائهم- فهو لا يخاف منهم حتى وإن اقترب من الكنز الذي يحرسه زبانيتهم. لهذا السبب، يلجأ المشعوذون إلى الاستعانة به لكشف الكنوز ونقلها بعد ظهور معالمها. ينزل الزوهري إلى المغارات والكهوف ليحمل محتويات الكنوز من نقود وذهب وفضة وجواهر. ولو نزل ساحر أو مشعوذ لهذا الغرض، لتعرَّض لعقوباتٍ شديدةٍ قد تودي بحياته أو تنفيه إلى مكان بعيد.

جعلت بعض القصص والأساطير الشعبية الطفل الزوهري في بؤرة الخطر، بل وساهمت في اهتمام السحرة والمشعوذين به، مما قد يؤدي إلى نهاية مأساوية بهذا الطفل البريء، كالذبح فوق مكان الكنز، أو بتر أحد أطرافه قربانًا للجن، لأن الجن الذين يحرسون هذه الكنوز -كما يقول العارفون- متعطِّشون لهذا النوع من الدم.

ارتعد **أبو عزَّة** خوفًا وأردف:

– وماذا عساي أن أفعل لحماية طفلتي؟

– احرص على تحصينها بالقرآن والأذكار يوميًا وباستمرار، حفظها الله لك.

خرج **أبو عزَّة** هائمًا على وجهه يلامس الهواء أطرافه، لكنه شعر باختناق وكأنما صخرة تُثقل صدره وتمنعه من التقاط أنفاسه، سمع صوت خطوات خلفه فتسارعت أنفاسه وأدار بوجهه فزعًا.

– لماذا تلحق بي يا شيخ؟

– نسيت أن أقول لك: عليك ألّا تخبر أحدًا بذلك.

– حتى زوجتي؟

– إذا كنت تعلم بأن زوجتك لن تحفظ السر؛ فلا تخبرها. فقط حرّصها على تحصين ابنتها.

– شكرًا لك يا شيخ.

طبطب الشيخ على كتفه وسار خلاف طريقه.

لم يذق **أبو عزَّة** طعم الراحة حين دخل بيته، فعانق ابنته وعيناه دامعتان. ما يخشاه قد تحقق، ارتاب جدًا وانعكست على وجهه ملامح الخوف والريبة والحزن في مزيج من المشاعر المختلطة.

سألته زوجته بقلق:

– ماذا حدث؟ هل علمت ما بعزَّة؟

– أخبرني الشيخ بأنها قد تكون متلبسة بالجن، ونصحني بتحصينها يوميًا عسى أن تتحسن.

وضعت يدها على نحرها وشهقت:

– متلبسة منذ الولادة؟ هل ستعود إلى طبيعتها إذا تحسَّنت؟

– لا أعلم!

وضع **عزَّة** على الأرض، ونهض متجهًا إلى مضجعه. تغيَّر **أبو عزَّة** بعد ذلك اليوم الذي اكتشف فيه حقيقة ابنته، حقيقة لا تزال غامضة بالنسبة له، وهو يردد في خلجات نفسه: هل هي ابنتي حقًا، أم ابنة الجان؟

سارت الأيام ببطء شديد إلى أن بلغت **عزَّة** الثامنة من عمرها. كانت ذكية بشكلٍ يفوق الوصف، متفوقة على أقرانها في المدرسة وفي كل شيء. مبهرةٌ... والجميع يتودد إليها وكأنها أميرة مُتوَّجَة. تتمتع بذكاءٍ وفطنة خارقين، قادرة على إدخالك في متاهة من الحوار لا مهرب منها. تحب القراءة والمطالعة، وهي فصيحة اللسان، ملائكية الجمال.

لم يتهاون الأبوان جهدًا في تحصين ابنتهما، مما جعلها عصِيَّةً على الجنّ مما دفع أكبر جبابرة الجن، "**كسفيائيل**"، إلى مفاوضة جن مسلم يُدعى "**قِسرة**" من "**بني مالك**" لاستدراج عزَّة إليه بمساعدة **أبي محمد**. كادت المفاوضات أن تتعثَّر، لكنهم توصَّلوا إلى اتفاقٍ يقضي بأن **قِسرة** لن يكون

سببًا في إلحاقِ الضررِ بتلك الطفلة لا من قريبٍ ولا من بعيد. فقد عُرِفَ عن "**بني مالك**" أنهم من الجن المسالمين الذين لا يؤذون أحدًا، فتعهّد قِسرة بإحضارها وإعادتها سالمة بعد انتهاء مهمتهم منها.

[5]

## قِسرة

يبلغ **قِسرة** من العمر مئة وثمانين عامًا. وبالرغم من كونه نبيلًا إلا أنه متمردٌ أيضًا، ويحب خوض المغامرات التي تُقرّبه من الإنس، ويشعر بأنه ينجذب إليهم وإلى حياتهم ويميل لِبناتِ الإنس، لكن عُرفَه وأخلاقَه لا تسمح له بإلحاقِ الضرر بهنّ، فهو يراهن من حيث لا يرَينَهُ فقط.

يراقبهنّ ويستمتع بمشاهدتهن وهن يتأنّقن أمام المرآة ويرقصن أو يبكين. لا شيء يمنعه أو يحجب عنه رؤيتهن إلا إذا قلنَ في خلواتهن: **بِسْمِ اللهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُو**، فيبتعد.

وافق **قِسرة** على عرض **كسفيائيل** لأنه يريد فقط الاختلاط ببني الإنس والاستمتاع بمشاهدتِهم وبالذات **عزَّة**؛ لأنها أنثى استثنائية وجميلة جدًا، والأهم من ذلك "زوهرية". فهي تراه على طبيعته بلا أي مجهودٍ منه، ويستطيع التواصل والحديث معها دون أن ترتاب أو تخشاه. يا لها من مغامرة فريدة من نوعها!

دخل **قِسرة** المنزل المُطوَّق بذكرِ الله دون أن يشعر بالأذى لكونِهِ مسلمًا لا يؤذيه البيت المحصن. هبط **قِسرة** في غرفة **عزَّة**.

وجدها مُمَدَّدَةً على بطنِها ترسمُ باستكانة. تأمَّلَ حُسنَها وسرح بها واقترب من وجهها...

استشعرت وجوده فرفعت عيناها واندهشت، ثم نهضت وقالت:

– من أنت؟ وكيف دخلت إلى منزلي؟

– هل تريننني؟! *قال باستغراب مصطنع.*

– نعم أراك. *قالتها بلا أدنى أهمية.*

– كيف ذلك وأنا لستُ من جنسكِ؟

– أراكم دائمًا لكن خارج منزلي. منذ مدة قصيرة اكتشفتُ أنني أنا فقط من يراكم.

– إذًا أنتِ تملكينَ قدرات لا يملكها أحدٌ من بني جنسكِ!

– يبدو الأمر كذلك، لستُ أهتم.

– لستِ مهتمة بالعالمِ الآخر؟

– ربما قليلًا. ماذا تريد؟

– أنا قِسرة، جنيٌّ مُسلِم، لذلك دخلتُ بيتكِ المحصنِ بسهولة.

– لم أسألك ما اسمك! ماذا تريد؟ *قالتها بإصرار.*

– لا شيء. أنا أحب أن أشاهد حياة بني الإنس، وأستمتع بذلك.

– جئتَ لمشاهدتي إذًا؟!

– نعم، وبما أنك تريننني دعينا نتحدث.

– لا أريد.

– لماذا؟ ألا يعجبكِ شكلي؟

– لا ليس كذلك، لستَ بذلك القبح. من أراهم خارجًا قبيحون أكثر منك.

– ما رأيكِ أن نلعب؟

– نلعب ماذا؟

– أيُّ شيء. كيف تقضين وقتك في العادة؟

– أرسم، أكتب، أقرأ قَصَصَ الأنبياء.

– هل قرأتِ قصة نبينا سليمان؟

– نعم، إنها مشوقةٌ حقًا، أشعر بفضولٍ تجاه مصير مُلكِ سليمان، وهل له أثر في عالمكم؟!

– بالتأكيد، هناك كنوزٌ مخبأةً في الأرضِ ولا أحد يستطيع الوصول إليها لأنها محروسة من ملوك الجان.

– وماذا عن كتبِ السحر التي دفنها الجن تحت كرسي سليمان؟

– تعتبر من الكنوز بالنسبة إلى بعض الجن.

– إذًا هي مُخبأة تحت الأرض...

أخذ قِسرة يتبادل أطراف الحديث معها وهو مستمتع جدًا، ولم ينسَ الهدف الذي جاء من أجله، لذلك يجري بالأحاديثِ ليستدرجها خارج أسوار منزلها.

كان بإمكانه أن يخرجها من منزلها من أولِ يومٍ وطأت قدمه المنزل، لكنه اختار أن يطيل المدة وشعر بالألفةِ معها. كان يردد في قرارة نفسه دائمًا:

*"لا تبدو كطفلة أبدًا بل نابغة فريدة!"*

ذهب معها إلى المدرسة، وكان هو فقط من يتحدث إليها ولم تكن ترد عليه كي لا ينعتونها بالمجنونة، كانت أحيانًا تكتب على ورقٍ ليقرأ ما تريد قوله.

أصبحت متشوقةً لقضاءِ الوقتِ معه وتنتظر متى ستعود إلى غرفتها لتحادثه وتلعب معه. كان **قِسرة** لطيفًا جدًا في تعاملهِ معها، ويبادلها الأحاديث الشيِّقة ويرضي فضولها بشأنِ أمورٍ كثيرةٍ تجهلها في عالمِها الفسيح.

مرت ثلاثة أسابيع فاستدعى **كسفيائيل قِسرة**:

– ما الذي تفعله؟ لماذا لم تحضرها بعد؟!

– الأمر ليس بتلك السهولة. البنتُ فَطِنَةٌ بشكلٍ لا يُعقل، وأبواها لا ينفكّان عنها أبدًا.

قال **كسفيائيل** بحنق:

– أسبوعٌ واحدٌ آخر وبعدها سأتعاون مع غيركِ وأُبطِل عَقدي معك.

– صدقني أنا من سيأتيك بها، لكن أمهلني وقتًا أطول. أسبوعٌ ليس كافيًا.

– لك عشرون يومًا فقط.

شعر قِسرة بشيءٍ من الضيقِ في نفسه، وفي ذلك اليوم لم يعد إلى غرفة **عزَّة**، بل وقف جوار باب منزلها يفكر في كيفية حل الأمر. شعر برغبةٍ جامحةٍ بأن يتراجع عن كلِّ شيء ويحمي **عزَّة** من **كسفيائيل** وأعوانه، حيث إن الاتفاق الذي عقده معه لن يؤذيه، ولكن في ذاتِ الوقت لو أبطله سيتعاون **كسفيائيل** مع غيرِه، ولربما يُلحِقون ضررًا بعزَّة.

قرر أخيرًا أن يأتي بها إليه، وبعد ذلك يعيدُها إلى منزلها ويبقى معها إلى الأبد.

عاد ليراها نائمة بوجهها الملائكي، وعلى طاولتِها الجانبيةِ قربَ السرير كتبت على الأوراق جُملةً وكررتها:

*أين أنت يا قِسرة تعال لتتحدث..*

*أين أنت يا قِسرة تعال لتتحدث..*

*أين أنت يا قِسرة تعال لتتحدث..*

*أين أنت يا قِسرة تعال لتتحدث..*

*أين أنت يا قِسرة تعال لتتحدث..*

*أين أنت يا قِسرة تعال لتتحدث..*

*إنني أفتقدك...*

تنهَّد قِسرة بحزن، وجثى على ركبتيه بجانبِ سريرها، ومسح على رأسِها ووجهِها بلطفٍ، بعد ذلك غطَّ في نومٍ عميق.

ماذا بشأنِ ضميره وقِيَمِه التي لا تسمح له بأن يلحق ضررًا بإنسيّ؟

كيف له أن يُسلم إنسيَّةً بيديه إلى أشرس جبابرة الجن الذي يتغذَّى على ضررِ بني الإنس وشركِهم؟

قرر قِسرة أن يجازف لمدةٍ محدودةٍ لينهي هذه المهمة ويعيد السلام إلى حياته، وألا يقلق بعد الآن.

أخبر عزَّة بكلِّ شيءٍ وبوضوحٍ تام، لكنه لم يخبرها بأنه أُرسِل إليها لأجل ذلك، بل أوهمها بأن الأمر طرأ هكذا فجأةً دون سابق إنذار، وبأنه إن لم يفعل فسيفعل ذلك غيره، لأنهم يستهدفونها بالذاتِ، بسبب امتلاكها لقدراتٍ استثنائية في كشف كنوز الأرض. الآن أو بعد مدة سيستغلُّون الأمرَ لصالحهم، أقنعها بكل ذلك.

استثار حماسها وروح المغامرة ما جعلها تُقدِمُ على الأمر بعد أن وعدها بأن يحميَها.

اتفق معها أن تخرج من منزلِها ليلًا بهدوءٍ وسيكون معها هو وأبو محمد. لم تكن عزَّة تعلم بأنها ضحيةُ ألاعيبِ الشياطين اللعينة.

وبالفعل خرجت **عزَّة** في تلك الليلة، وكان ينتظرها **أبو محمد وقِسرة**، ركبت معهما السيارة فانطلقا بها من جازان إلى وادي نخلة في اليمن.

إنه وادٍ مظلمٌ كنفوسِ أصحابه، تفوحُ منه روائحَ نَتِنَة لا تُطَاق. لن تستطيع التنفس وستتمنى لحظتها لو أنك خُلِقت بلا حاسة الشم، أصواتٌ متداخلةٌ بين همسٍ وفحيح.

كلّ تلك المناظر والأصوات التي قد تشلّ أي إنسي رعبًا لم تحرك ساكنًا لدى عزَّة المفعمة بالحماسة! فهي تشعر بأنها أهم شخص على هذا الكوكب.

"ماذا لو أخبرتَ طفلًا بأن لديه قدرةً خارقةً لجلبِ كنوزِ الأرض من أعظم حراس الجن؟!"

ما إن وصلوا حتى تسارعت دقّات قلب **قِسرة** وعبست ملامحه ليُفاجَأ بوالدِه بجانب **كسفيائيل**، وهو ينظر إليه بعينينِ يتطاير منهما الشرر:

– ما الذي فعلته يا **قِسرة**؟ أقدمتَ على ضررِ بني الإنس؟ شوَّهتَ سُمعتنا؟

– أبي، الأمر ليس كذلك، أرجوك افهمني.

– إن لم تأتِ معي الآن؛ سأجعل الأرض التي تقف عليها تلتهمك للأبد، وأغسلُ هذا العارِ الذي ألحقتَه بنا.

– أرجوك! دعني أشرح لك فقط.

جذب **مالك قِسرةَ** رغمًا عنه، وأردفت **عزَّة** بحزن:

– قِسرة...!

صرخ **قِسرة**:

– كوني حذرة يا **عزَّة**، سأعود.

استفرد **كسفيائيل** و**أبو محمد** بها، وهذا ما كانا يصبوانِ إليه من البداية، فطلب **كسفيائيل** منها أن تجرّ عربةً ثقيلةً لتجمع بعضًا من كنوزِ الأرض، وعاهدَها أن يُعيدَها إلى أهلِها بعد ذلك، وأشار إلى مكانٍ وطلب منها أن تستشعر بقدراتِها ما إذا كان الكنز هنا.

شعرت **عزَّة** بالرغبة بالقيام بذلك لترى تلك الكنوز التي لَا يستطيع أحد غيرها جلبها، فأطبقت عينيها مطولًا، وكانت **عزَّة** في كل مرة ترمش فيها ترى أشياء غريبة.

وإذ فجأةً تفتح **عزَّة** عينيها وترتجف بشدةٍ كأنما خوفٌ مفاجئٌ قد تملَّكها، فجثَت على ركبتيها وشرعت بالبكاء. تعجّب كلٌ من **أبي محمد** و**كسفيائيل**، فاقترب **أبو محمد** منها وقال:

– ما بكِ؟ هل رأيتِ الكنز؟

قال **كسفيائيل** بهدوء مصطنع:

– ما الأمر يا صغيرة؟ أخبرينا.

حاولَت كبح عبراتها واستجماع قوتها وهي تحاول ألّا ترمش مطولًا كي لا تُكرّر المشاهدة.

– لا كنوز هنا، تحت هذه الأرض كُتبٌ فقط.

– اجلبيها لنا يا صغيرة. *أردف كسفيائيل.*

– من أين أدخل هذه الأرض؟

أخذها بلمحِ البصر إلى بوابة الوادي، وقال:

– من هنا.

– سأدخل لوحدي؟ متى سيأتي **قِسرة**؟

– لا أحد يستطيع الدخول غيرك، أنتِ فقط المُخوَّلةُ بالدخول. هيا اذهبي.

بدا على **عزَّة** ملامح حزنٍ، غادرتها الحماسة بعدما رأته.

أخذت تسير داخل الوادي بهدوء، لتثاقل خطواتها وهي تجرُّ تلك العربة. توقّفت وأسنَدت ظهرها على الحائط الطيني الخشِن، ضمّت ركبتيها ودفنت رأسها بينهما وهي تُبحلِقُ لا تريد أن تطيل إغلاق عينيها.

شيء ما شلَّ تفكيرَها بشكلٍ مفاجئ، لا تستطيع التفكير فيما ستفعل. أيّ لعنةٍ جلبتها من سريرِها الدافئ وأحضانِ والدَيها لتجد نفسها في مكانٍ موحش وغير مألوف! مكان خالٍ من كل شيء.

[6]

# عـزَّة

الجملة الأخيرة التي سمعتها من **كسفيائيل**، كانت كل ما يتردَّد في ذهنِها "***لا أحد يستطيع الدخول غيرك، أنتِ فقط المُخوَّلةُ بالدخول. هيا اذهبي***".

إذًا، هي آمنةٌ هنا، لكن إلى متى ستبقى هنا تشعر بالبردِ والخواء من كل شيء؟

أمسكت بحجر حادٍ صغيرٍ، وبدأت تكتب على الحائط:

"أنا **عزَّة** الفريدة من نوعي. قيل لي بأنني أستطيع أن أجدَ كنوز الأرضِ وأجلبها، لكن ما شاهدته أثناء إغماض عينيّ مطوَّلًا؛ كان مصيري ونهايتي في هذا المكان. سأموت على يد الإنسيّ اللعين الذي يُدعى **قاسم**، سيستخدمني قُربَانًا يرتقي به ليكون قُطبًا من أقطابهم ومستشارًا لهم.

ما فعلتُه هو جلب الكنوز والكتب كما طلبوا مني، وبعد ذلك لم يعيدوني إلى بيتي. يطمع بدمائي ذلك الإنسيّ النذل ويسفِكُها، ويقدّمني قُربَانًا..."

انزوَت على نفسِها إلى الأرضِ الباردة فهزمها النُّعَاسُ بالرغمِ من مقاومتِها له.

مضى الوقت وهي نائمةٌ حتى نهضت مفزوعةً مما رأته، شرَعَت هذه المرة في البكاءِ بلا توقف. كانت تبكي بصوتٍ مسموعٍ وشهقاتها تُسحَبُ من روحها. نهضت بتثاقلٍ وأمسكت بذات الحَجَر الحادّ وبدأت تكتب:

"أنا سأنتهي هنا بعيدًا عن أمي وأبي، سينهش الحزن قلبيهما وسيرحلان بعيدًا عن قريتنا، سُينجِبان ثلاث فتيات "**عروب وعهد وعالية**"، هؤلاء شقيقاتي اللواتي لن تسمح لي الأقدار أن أكون معهنَ، ولا أن أعاون والدتي في رعايتهن، سترحل والدتي وستتركُهن على عاتقِ أبي، سيقصد **أبو محمد** أبي لِـ..."

بدأت يداها الصغيرتان ترتجفان. خارت قواها وعادت للبكاء وهي تتذكر ما رأته.

ما أصعب ذلك على طفلةٍ صغيرة، أن تغمض عينيها وترى مصيرها ومصير عائلتها. وهي تعلم من هو المتسبب في كل ذلك، لكن لا حيلة لها في الأمر.

خطت على الجدران ما رأته كاملًا...

ثم ختمتها:

"أرجوك عُد يا **قِسرة**".

مضى يومٌ كامل وهي في هذا الوادي، إلى أن استجمعت قواها ورضيت بما هو مقسوم لها، لكنها أصرَّت على أن تُعاند **كسفيائيل** وألّا تحضر له شيئًا أبدًا، اختارت أن تموت نبيلة.

خرجتِ خالية الوفاض، قال **أبو محمد**:

– أين العربة يا صغيرة، ولماذا مكثتِ كل هذا الوقت؟

– لن أسرق. السرقة حرام في شريعتي.

غضب **كسفيائيل** أفرغه من خلال صرخة تصم لها الآذان من هولِها:

– **أبا محمد**، تصرَّف مع تلك الإنسية. بات الأمر لا يحتمل.

– **أين قِسرة**؟ سألت **عزَّة**.

– لن يعود **قِسرة**، حبسه والده إلى أجلٍ غير مسمى.

– أحضروه إليّ إن أردتم أن أحضر لكم من كنوزِ الأرضِ شيئًا. وأنت يا من تُدعى **أبا محمد**، انزل إليّ فلديَّ ما أقوله لك.

انحنى **أبو محمد** راكعًا إلى مستواها فبصقت في وجهه وأردفت قائلة:

– تبًا لك أيها الإنسي النذل، ستحصد ما زرعته حسرات وندمًا.

أخفى **أبو محمد** حنقه وتظاهر بالضحك:

– لا بأس يا صغيرة، سأتجاوز ذلك.

اختارت عزَّة أن تلاعبهم وتماطل لتكسب وقتًا، ربما تستطيع أن تنجو وتُنجي أهلها من مصيرهم المريع!

معضلةٌ مريعةٌ حقًا ما تمر به عزَّة، تلك الطفلة البالغة من العمر ثماني سنوات.

ما أشنع أن ترى مصيرك! لطالما كان الجهل بما هو آتٍ رحمة ونعمة عظيمة.

إن كنت تريد التطلُّع للقادم بحجة تجنب المشكلة قبل وقع الضرر، فلن يُصيبك سوى ما كُتب لك. لذلك حمدًا لله على جهلِنا بمصائرنا، فقد اكتسبنا بذلك نقاوة سريرتنا والمضي قُدُمًا على سجيَّتنا.

تحاول عزَّة أن تغير في ما رأته لتتجنّب وقوع الضرر لها ولأهلها. ولكن لا مناص.

"لا بأس من المحاولة، حتى وإن كنت تلفظ أنفاسك الأخيرة
وهزيمتك حتمية".

[7]

# قِسرة

شعوري بالندم لن يغير شيئًا إن لم يطلق أبي سراحي. سيظل ذنب **عزَّة** على عاتقي ولن أسامح نفسي على ما فعلته بها، كيف لي أن أعطي الأمان لـ **كسفيائيل** وأنا أعلم بأنه حتى وإن عاهدني سينقض عهده معي ولن يبالي بذلك أبدًا. اللعنة! كان يعلم أن نقطة ضعفي هي أبي!

حبسني أبي هنا خوفًا عليّ من طغيان **كسفيائيل** وجوره لا من الإنس. بالرغم من أنه متمسك بقِيَمِه وعاداتِه ونُبلِه، ولا يقبل بأذيةِ بني الإنس. إلا أنه اختار أن يحمي ابنه على أن يحميَ إنسيَّة لا يعرفها.

بينما كان **قِسرة** غارق في شرودات ذهنه، دخلت عليه والدته لتطمئن عليه، رآها مقبلةً عليه فقال:

– أمي، أرجوكِ ساعديني.

– كيف حالك يا بني؟ *"بنبرة بائسة"*.

– لســت بخيرٍ كما ترين. إلى متى ســأظل حبيسًــا في هذا المكان؟ أرجوكِ أخبري أبي ليعفو عني هذه المرة فقط.

– اسكت يا **قِسرة**. *"بينما كانت تضع أمامه الطعام"*.

– أمي أرجوكِ، سيقتلون تلك الإنسية إن لم أساعدها.

– فليقتلوها! ما شأننا بذلك؟/ردفت بحنق.

– لا أصدق يا أمي، أنتِ من تتفوهين بتلك الكلمات!

– قِسرة، يجب أن تفهم أن ما فعلتَه لا يُغتَفَر.

– أعلم بأنها غلطة، لكن **كسفيائيل** أخبرني بأنه سيستفيد منها في استخراج كنوز الأرض ثم نعيدها إلى أهلها.

– ساعدتَه بجهلك على أذيةِ بني الإنس! أهذا ما ربّيناك عليه؟

– لم أساعده يا أمي...

– اسكت يا **قِسرة** واسمعني جيدًا، بين قبيلتي **بني مالك** و**كسفيائيل** هُدنة عُقِدَت منذ الأزل على ألّا نُساعدهم لكن، "لا نُحبط عملهم"، وإن رأيناهم يؤذون بني الإنس أشنع الأذى، لا نتدخَّل. في مقابل ذلك؛ لا يصيّرون أتباعنا لخدمتِهم. وما فعلتَه أنت هو مساعدةٌ بشعةٌ جدًا نقضتَ بها هذه الهدنة، وأبوك طريح الفراش الآن بسببك. ستقضي علينا وتجعلنا خُدَّامًا لهم، نساعدهم في أذيَّةِ بني الإنس ونخسر ديننا. ليتك فكرتَ ولو مرة قبل أن تقدِّم تلك الصغيرة لأكثرِ خلق الله طغيانًا وجبروتًا. ماذا سيفعل أبواها الآن بعدما يبحثان عن ابنتهما ولا يجدانها في أي مكان؟ حرقتَ قلبيهما خوفًا على ابنتهما بجهلك يا **قِسرة**!

احتضن قِسرة رأسه بين يديه وهو مطأطئ رأسه خِزيًا مما فعل. لا الكلمات تسعفه ولا الأفعال تُنجيه، فأردفت والدته:

– ربّيناك على ألّا تؤذي الآخرين من بني جنسِك، وكذلك من بني الإنس لأنهم أشقاؤنا من العالمِ الآخر، وجُبِلنا على أن نراهم من حيث لا يروننا، وكنتُ أعلمُ أنا ووالدُك بأنَّك تَتلصَّصُ على حياتِهم، ومع ذلك لم نعاقبكَ قط؛ لعلمِنا بأنكَ طائشٌ متمرّد، لكن ما لم نعلمه؛ أنك ستسمح لنفسك يومًا أن تكون سببًا في أذيّتهم!

أتلفت كل شيءٍ يا قِسرة، كل شيء.. لقد خذلتنا يا بُنيّ!

نزلت دموع دافئة على خد قِسرة تُترجِمُ ندمه، وأردف بهدوء:

– أرجوك يا أمي سامحيني. أخبري أبي أن يسامحني فأنا نادمٌ على ما فعلت. لكنني كنت أجهل تلك الحقيقة، أنتما تُحاسباننني على ما جهلتُه.

– أين ذهبت أخلاقك؟ *قالتها وهي تُعرضُ عنه وتولّيه ظهرها.*

خرجت وتركته خلفها يعضُّ أصابعه ندمًا، مكبِّلُ الروحِ قبل الجسد، يشعر بأن ذنب عزّة سيلاحقه إلى الأبد.

[8]

# عَسَّاف

بالرغم من حرصِ عَسَّاف على تحصينِ بيتِه وابنتِه؛ إلا أن الشيطانَ –في غفلةٍ– دسَّ سُمّه فيهما. استيقظ **عسَّاف** على فجيعة فقدان طفلته، وحدث ما كان خائفًا من حدوثه.

لا شيء أوجع من أن تُفجَع بمن تحب! تشعر بالخواء، وتتآكل روحك من فقدِه، وكأنك خسرت شيئًا من أحشائك. الفراغُ الذي يخلِّفَه الفقدان يُصيّرك حُطَامًا بروحٍ مدمرة لا شيء يعمُرها.

يُقال أن فراق الأحبة بالموت أهون من فراقهم بالغياب؛ فالموت وإن كان قاسيًا، إلا أنه يمنحك يقين النهاية وفرصة الوداع، أما الغياب فيتركك مُعَلقًا بين أمل العودة ويأس الفقدان.

حينها، تداهمك الأفكار القاتلة، وأكثر سؤال يخنقك هو:

**ماذا يحدث له الآن؟ ماذا فعلوا به؟**

**كيف سيكون حاله إن عاد؟ وكيف سيكون حالي إن لم يعد!**

منذ اختفت **عزَّة**، تتآكل أمها وينهش الحُزن روحها يومًا بعد يوم، ولا تنفك عن التفكير بها فتهيم على وجهها في السِكَكِ أحيانًا باحثة عن

أثر لها. تنام كل ليلةٍ في مضجعها وتبكيها. لا شيء يبدد حُزن أم فقدت ابنتها في ظروف يجهلها الجميع. وعلى إثر ذلك تُطعَنُ في شرفِها من قِبَلِ أهل القرية.

عاش **عَسَّاف** وزوجته أسوأ ثلاثة أشهر في قريتهما، انتشرت أقاويل بشأنِ **عزَّة** مفادُها أنها لم تكن ابنته منذ البداية، وشاعَ بين الناس بأن أباها الحقيقي هو من قام باختطافها.

كانت تلك الأقاويل مؤذيةٌ جدًا لهما، ما بين حسرة الفقدان، والخيبة من المحيطين بهما، تراجعت صحة زوجته حتى بدأ **عَسَّاف** يستشعر بأنه سيفقدها أيضًا.

اتخذ قرارًا دون الرجوع إليها بأن ينتقل للعيش في شرقِ المملكة، ويترك خلفه الأمل برجوع **عزَّة**.

غادر **عَسَّاف** وزوجته، متشبعين بالحسرةِ والخيبةِ، باحثين عن الأُلفةِ في مكانٍ آخر يجهلهما تمامًا. قراره كان أشبه بالخُطَّةِ البديلة لاستمرارية العيش والتعايش مع القادم، والبداية بصفحة جديدة.

لا بأس أن تبدأ من جديد، بجرح مفتوح غائر في نفسك لا التئام له. الأمر أشبه بمحاولةِ النجاة من الغرق.

[9]

# عـزَّة

لا شيء منصف، فحتى أنصاف الحلول اغتالها **كسفيائيل**. حتى المماطلة لم تُجدِ نفعًا معه، فهددها إن لم تجلب له ما يريد سيقتل أبويها. ارتعدت خوفًا عليهما، وقررت أن تنصاعَ لرغبَاتِه، فجلبت له من تلك الكنوز حتى خارت قواها، وقالت:

– لا طاقة لي لجلب المزيد، اقتلني أيها اللعين!

– ارتاحي اليوم ودعينا نُكمِل غدًا. قال *كسفيائيل*.

سقطت مغشيًا عليها من الإنهاك والتعب. فأردف **كسفيائيل**:

– خذها معك إلى بيتك، دعها لترتاح.

– حسنًا، سأفعل.

حملها **قاسم** والمطامع تملأ عينيه، إذ يشتهي افتراسها كذئبٍ بشريٍّ يأكل الجِيَف، وبالطبع يتسنَّى له أكل الأطفال، لكن مطمعه بها كان أن يرتقي بدمائها ليكون قُطبًا رئيسيًا في عالمه، وليس مجرد ساحر أو مشعوذ.

في منزل جبلي تفوح منه رائحة النجاسة، فتحت **عزَّة** عينيها. نهضت وأسندت رأسها على الجدار، لتراهم يتطايرون في أرجاء المنزل، وأصوات همسهم وصراخهم تملأ المكان. كانت تتأملهم بفراغِ صبر.

حتى دخل **قاسم** ومعه رجلين أحدهما يستند على الآخر. جلسا، فوضع **قاسم** يده على رأس أحدهما، وبدأ يقرأ آيات قرآنية صحيحة، ثم يصمت ويتمتم بأشياء غير مسموعة. فجأة دخل رجل مُعَمَّم يضع "جنبية" على خاصرته، وقال:

– لا تكذب على الناس وأنت لا تملك شيئًا من الكرامات، لا مصداقية لديك.

– من قال ذلك؟ جميع أهل القرية على دراية أنني اكتسبت هذه الكرامات من أبي –غفر المولى له–.

– أبوك كان يطعن نفسه بالجنبية ولا يحدث له شيء. دعنا نرَ ذلك الآن.

نهض **قاسم** من مكانِه، وهو يتمتم بأشياءٍ لم يفهمها أحد. اقترب من الرجل المُعَمَّم، وسحب الجنبية من خاصرته، ورفع يده وطعن نفسه بالمرة الأولى، لم يحدث له شيء فقد كانت الشياطين الخادمة تحميه، إلى أن كررها ثانية من باب الإصرار على التحدي، فأردف الرجل المُعَمَّم بصوتٍ مسموعٍ قاصدًا ذلك: **الله لَا إِلَهَ إِلَّا هُو...**

فانغرست الجنبية في بطن **قاسم**، وبدأ الدم يسيل بين يديه حتى غطَّاهما. ارتعد خوفًا وخشية، وسقط جاثيًا على ركبتيه يستنجد: **اطلبوا الإسعاف...!**

تهلهلت أسارير **عزَّة** في تلك اللحظة وكأنما انفرجت كُربتها.

تم نقله إلى المستشفى، وبات فيها عشرةَ أيامٍ بلياليها. في هذه الأيام كانت **عزَّة** تجلس في بيته، وتقرأ أذكارها؛ كي تتجنب حضرة الشياطين.

وفي أحد الأيام، جاءت والدته إلى منزله الجبلي، وعندما وجدت **عزَّة** شهقت وضربت نحرها.

– ماذا تفعلين هنا يا صغيرة؟!

– من أنتِ؟

– أنا والدة الشيخ **قاسم** "**أبو محمد**". لماذا أنتِ في بيته؟

ضحكت **عزَّة** تهكمًا.

الشيخ خطفني من أهلي.

لطمت على خدَّيها بكلتا يديها، وقالت:

– هل تعرفين أين بيتك؟

– على حد علمي إن بيتي في جيزان، وأنا الآن في اليمن.

اتسعت حدقتا عينيها.

– كيف أعيدك إلى أهلك؟ أخبريني.

– لا أعلم. ساعديني يا خالة أرجوك!

– لا قوة إلا بالله!

جلست الخالة القرفصاء، وأخرجت من ملفعها هاتفًا محمولًا عتيقًا تربطه في طرف الملفع، وأجرت اتصالًا بأخيها، واستنجدت به ليجد حلًا للمصيبة التي أتى بها ابنها. صرخت به بحسرة:

– تعال الآن إلى منزل الجبل، لترى المصيبة التي حلَّت بنا.

مضت ساعة ثم دخل رجل وسيم بالرغم من كِبَرِ سِنِّه، إلا أن تقاسيم وجهه توحي بأنه رجل نبيل، وقال:

– أخبريني يا أختي، ما الأمر؟

– قاسم حذا حذو أبيه وسيضيّع نفسه ويضيّعنا معه.

– أخبرتك بأن تحرقي تلك الكتب اللعينة.

– ماذا نفعل بهذه المصيبة؟ تلك البنت من قرية في الحدود المجاورة للمدينة، وقد خطفها من بيتها وهرّبها إلى مدينتنا. كيف نعيدها إلى أهلها؟

– يجب أن نعرف لماذا خطفها؟!

فقالت عزّة:

– يا عم، خطفوني لأجلب لهم من كنوز الأرض، لأنني أستطيع رؤيتها.

بدت علامات الدهشة على وجهه:

– تجلبينها له؟

– لا، لأحد الجن يدعى كسفيائيل الميموني.

– وجلبتِها له؟

– نعم، من المفترض أن يعيدوني لأهلي، لكن المدعو **قاسم** سيقتلني ليرتقي بدمائي.

جلس على طرف الكرسي، ووضع يده على جبينه وبدأ يفركه بغرابة. أردفت الخالة:

– دعنا نعِدها لأهلها أرجوك!

– أعرف شخصًا في السفارة، وأعتقد بأنه سيساعدنا...

فجأة ودون سابق إنذار انتفض، وكأنما تعرَّض لصعقٍ كهربائيّ وسقط أرضًا.

ولولت الخالة ولطمت نفسها مجددًا، وحاولت إيقاظه بمسح كحول على أنفه، حتى بدأ في استعادة وعيه تدريجيًا.

بوجهٍ مُصفرّ فتح عينيه ببطء ونظر إلى أخته، ثم أرسل نظرة لعزَّة، وبحركة سريعة أمسك بمعصمها ونهض...

حاولت **عزَّة الإفلات** من بين يديه، لأنها لم ترَ ذات الرجل المسن بوسامته، بل رأته بشكل المتلبّس به، شخصًا حالك السواد، بعينينِ حمراوين برّاقتين، وأنياب حادة مريعة، يسيل من فمه لعابٌ لزج براتحةٍ نتنة، وجلده كجلد الأفعى.

– سأوصلها إلى أهلها، لا تقلقي.

– أتمنى ذلك. *"وهي تمسح على نحرها بيدها". وكأنها تحاول تهدئة نفسها.*

في ثوانٍ معدودة، نقلها إلى وادي **كسفيائيل**، وطلب منها أن تجلب له مجددًا المزيد من كنوز الأرض.

– هل ستعيدني إلى أهلي؟

– بالتأكيد يا صغيرة، لا تقلقي.

– متى؟

– عندما نجلب كل كنوز الأرض.

– الأمر مستحيل! حتى في أعماق البحار يوجد كنوز.

– اجلبي ما استطعتِ اليوم.

جلست القرفصاء، وشرعت في البكاء بصوتِ أنينٍ مزعِج:

– اقتلوني الآن... لا أريد، لا أريد...

عانت **عزَّة** منذ أن وطأت قدماها هذا العالم الغريب، وفي كل مرةٍ تطبق فيها أجفانها؛ ترى أشياءً لا تعد ولا تحصى من الأحداث ومن الكنوز بأنواعها، ومصائر أشخاص لا تعرفهم. كل ما تراه يشعرها بالغرابة وبالاشمئزاز. سيتمنى من في وضعها بالتأكيد أنه لم يُخلق بهذه القدرات المريبة للإنس والجان، بل سيتمنى لو أنه لم يُخلق أصلًا.

مُجهِدٌ على طفلةٍ صغيرةٍ كل ذلك. أي المصائر ستواجهين يا **عزَّة**؟

متى سترقدين بسلام؟

"أحيانًا عند مكابدة المرارة؛ نتمنى الموت لنحصل على سلامِنا الأبديّ.
تكتفي الروح من المعاناة، مُعلنة رغبتها في الخلاص."

[10]

# عسَّاف

تحوَّلَت حياة **عَسَّاف** إلى كابوس دون سابق إنذار. دخلت المخاوف والوساوس إلى نفسه، وكُبِّلَت حُريّته في العيش، كيف له أن ينجو من الأوهام التي تساوره وذهنه لا ينفك عن التفكير؟

أصبح يشمئزّ من أحجارِهِ الكريمة ويمقُتُها، يتمنى لو كان باستطاعته التخلص منها ليعيد سلامه وعيشه الهنيّ. إن أبسط طريقة يهدم فيها الشخص نفسه هي حينما يفتح بنفسِهِ بابًا من أبوابِ الجحيم وبيديه.

لم يقصد **عَسَّاف** أن يفتح الباب متعمّدًا، لكنّه حاول التعمُّق في أمرِ تلك الأحجار، وها هو الآن غارقٌ بسببها، تلاحقه الكوابيس في الليل والنهار، ولا تنفكّ عنه. انعزل عن بناتِهِ خوفًا عليهنّ، كان خائفًا حتى من ذاتِهِ، يدور حول نفسه باحثًا عن مخرجٍ يُنجيه، لكنه أدخل نفسه في الجحيم وأغلق الباب.

تغيَّرَ لونُ الحياةِ في عينيهِ، ولم يعد يرى شيئًا سوى الظلام، ولا يشعر بأنه مستيقظ. كل ما يراه حقيقيٌّ، لكنّه يستشعره كابوسًا مزعجًا، لا ملامح لنهايته، كالجاثوم تصارعه رغبة في الاستيقاظ، وشكوكه تتزايد

بأنه لن يستيقظ. لربما هي النهاية، وهذا هو الموت الذي يفرّ منه لكن لا محالة.

ظلامٌ دامسٌ، وصوتُ الرياح وهي تهزّ النَخيل، رائحة حريق بلا أثرٍ لنارٍ موقد. تسارعت أنفاسُه، فحاول أن يلتقطها، وكان أول سؤال تبادر إلى ذهنه، **أين أنا؟ هل انتهى بي الأمر هنا؟**

حاول الصُّرَاخ، لكنّ حُبِسَت الكلمات في حنجرتِهِ واختنقَ بها، وتشنَّجَت أطرافُه، وشَخَصَ بصرُه إلى السماء، وهو يفكّرُ بوعيِهِ، **كيف لي أن أستفيق من هذا؟**

صوت نار تأكل وتقرطس كل ما حوله، دون أن يرى لها أثرًا.

ومن وسط ظُلمَةِ السماء، تهاوى شيء باتجاهه بسرعة البرق، وجهٌ بشعٌ مُنَفِّر، دمويٌّ بعينينِ طويلتَينِ غريبتَينِ. اقترب من وجهه، وهمس له بفحيح:

– حررني.. حررني.. حررني.. حررني.. حررني وسأخلصك!

أمسك بحنجرة **عَسَّاف** وغرس أظافره بها بقوة، كأنه يرغب باقتلاعها، وركز نظره عليه وأردف مجددًا بذات الفحيح:

– حررني من العقيق الأسود!

بعد أن أنهى جملته، بدأ يتآكل بالنار حتى تحول رمادًا وقد احترق كل شيء. رائحة الحريق كتمت أنفاس **عَسَّاف**، وحرارة النار اقتربت فتوهَّج جسده، وبدأ في التعرق، فنهض بجذعِه مباشرة، ووضع يده على حنجرته وتلفَّتَ حوله، ثم فتح صندوق خواتمه، وبدأ يبحث بطريقة جنونية بلا شعور.

بالفعل لديه عقيق لونه كلون الكبد، لكن مظهره قاتم، وما أن يُسلَّط عليه ضوء يتحوَّل إلى لونٍ عنَّابي مائل للكبدي. وضعه في راحةِ يدهِ وأطبقَ عليه، مقرَّرًا أن يواجه معضلته حتى يتخلص منها.

لبس ثوبه، وخرج من بيته إلى بيت **أبي محمد**، وقبل أن يرنّ جرس المنزل؛ فوجئ بأبي محمد وقد فَتَحَ الباب بوجهٍ يبتسم بخبث:

– تفضل.

دخل **عَسَّاف** وهو يدفع **أبا محمد** من كتفهِ الأيسر، فقال **أبو محمد**:

– ما الأمر؟ أخبرني.

– كيف أحرر خادم هذا الخاتم؟

– هل زار منامك؟ أم أحرق منزلك؟

– لا شأن لك، أخبرني فقط.

أملى عليه ما يفعله، وكان يستمع إليه بذهولٍ وعلامات الخوف تعتلي ملامحه.

بعدما فرغ منه، نهض وهمّ بالخروج، ودلف إلى منزلِه فرأى بناته يتبادلن أطراف الحديث، وأصوات ضحكاتهن لها صدى يسمعه **عَسَّاف** فقط. ما أن رأينه مُقبِلًا حتى بادرن بالسلامِ عليهِ وتقبيلِ جبينِه واحدةً تلوَ الأخرى.

قالت عروب:

– أبي، يبدو على وجهك الشحوب والتعب، دعنا نذهب إلى المستشفى لنفحصك.

– لا داعي لذلك.

مضى من أمامهن يسحب قدميه بصعوبة، حتى وصل إلى غرفته. أوصد بابه واسترخى على سريره، وسرعان ما تجمَّعت العَبَرات في عينيهِ وغصَّت حنجرته. انطوى على نفسِهِ متقوقعًا وشرع في البكاء، بكى ذلك الرجل لثاني مرة في حياته. المرة الأولى عندما فقد ابنته وزوجته، وهذه هي المرة الثانية؛ عندما استشعر أنه سيخسر شيئًا ما لا محالة، إما نفسه أو بناته، وتلك هي أشنع الخسائر بالنسبة إليه.

لم يبقَ بيده حيلة، نهض وتوضأ وصلَّى، وبعد أن فرغ من الصلاة وضع الخاتم في إناء وسكب عليه نجاسته، وأردف بصوت مسموع:

﴿إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾﴾ النمل: ٣٠ - ٣١

أقسمت عليك يا خادم هذا الحجر، أن تأتيني في أجمل صورة لك.

انتظر ساعة، واستخرج الخاتم ولفَّه بمنديل، ووضعه تحت مِخدَّته، ثم ذهب للاغتسال ونظر إلى وجهه في المرآة، تأمَّل ملامحه فلم يعد للوقار مكان في هذا الوجه. بان الوَهَنُ على وجههِ، فتنهَّد بفراغِ صبرٍ، وتابع غسل يديه. جلس على طرفِ السرير وضمَّ رأسَه بكلتا يديه.

مرَّ الوقت، فآوى إلى مضجعه، وانطوى على نفسه وغط في النوم.

فجأةً، صدرَ صوتٌ يهمِسُ خلفه بفحيحٍ اقشعرّ له بدنه، شعرَ **عسَّاف** بأنّ كلّ شيءٍ يهتز، وكأن مضجعه يتهاوى إلى مكان سحيق، فأردف خادم الخاتم:

– أنا خادمك، لك ما تأمرني به.

– اخرجوا من حياتي جميعكم، أنت وباقي الخُدَّام.

– لا أستطيع فعل ذلك لك، أنت من عبثتَ بالخدام.

– لا أريدكم.

– سلِّمنا لأحدٍ غيرك يُكمِل ما بدأتَ به!

– إذا كنت لا تستطيع فعل هذا لي؛ فما الذي تستطيع فعله؟

– أخبرك بكل شيء تريد معرفته.

– ماذا يريد **أبو محمد** مني!

– **قاسم** الذي يُدعى **أبو محمد** هو ساحر، وقطبٌ من أقطابِ ملوكِ الجانّ.

– **ساحر!**

– يا سيدي! **قاسم** هو من قتل ابنتك ذات الثمانية أعوام، بعد أن قام بخطفِها بواسطة **قِسرة**.

كان لتلك الكلمات وقع على نفس **عَسَّاف** كطعنة خِنجَرٍ في وسطِ صدرِه. سُرِقَت منه أنفاسه، وارتجف جسده بأكمله، ثم أردف:

– من هو **قِسرة**؟

– جني مسلم، من **بني مالك**.

– هل تستطيع قتل اللعين **أبي محمد** من أجلي؟

– لا يا سـيدي، جُلَّ ما أسـتطيع فعله هو إطْلاعك بنواياه تجاهك فقط.

– من يستطيع أن يفعل ذلك؟ من يستطيع قتله؟

– أنت.

– لا أستطيع فعل ذلك!

– إذًا أنا، لكن بعدما استحوذُ على جسدِك.

– ماذا ستفعل؟

[11]

# عـرُّوب

في بداية الأمر أصبحنا لا نرى أبي كثيرًا. كان أغلبَ وقته في غرفته معتزِلًا كلّ شيءٍ حتى الطعام، كان لا يأكل إلا القليل. في تلك الأيام، ألححت على أبي أن نذهب به إلى المستشفى، لكنه كان يرفض ويسوِّف الأمر. لم أفكر قطّ بأنني سأمرُّ بهذا هنا، ولا أحد بجانِبِنَا.

لسنا في الديار، ولا نستطيع طلب المساعدة من أحد، لطالما لم نكن بحاجةِ أحدٍ؛ لأننا نستندُ ونعتمدُ بالكامل عليه، فهو مأمننا الوحيد. تغيَّر نوعًا ما، ولاحظنا ذلك أنا وشقيقتاي. شعرنا بالوحشة لأول مرة، واتفقنا على هذا.

كنت أشعرُ بأنني غير آمنة، ولديّ شعور دائم بأن أحدًا ما معي، أو شخصًا يتبعني. بعض المرات، شعرتُ بأن شيئًا ما خُطف من أمامي. أسمع أصواتًا لا وجود لها أحيانًا. تراجع الأمان في منزلنا بوضوحٍ مريب، وأصبحنا أنا وشقيقتاي ننام في غرفة واحدة لنهرب من الوحشة التي انتشرت في المكانِ بلا سابق إنذار.

في أحد تلك الأيام، طرق أبي باب غرفتي، فتحتُ الباب فرمقني بنظرةٍ تملؤها الغرابة، بابتسامةٍ على طرف شفاهه غير مفهومة، شعرتُ لحظتها بأنني لا أعرفه. أمسك مِعصم يدي وجرَّني خلفه.

- تعالِ معي!

- إلى أين؟ أخبرني.

خطواته كانت سريعة لا تشبه خطوات أبي، بدأ الخوف يتملَّكني، وكانت هذه أول مرة أخاف فيها من أبي! أدخلني غرفته، وأقفل الباب خلفه. أجلسني أمام المرآة، وبدأ يمسح على شعري بهدوء، كنتُ أنظر إليه من خلال المرآة وركزت نظري على عينيه. تسارَعَت دقات قلبي وشعرت بأن عينيه تهتزّان. لم تكونا ثابتتين، ناهيك عن نظرتِه المخيفة. عَصَرَ رأسي بقوةٍ ويداه ترتجفان، نزل إلى مستوى أذني وهمهم بأشياءٍ لم أفهمها، وبعد ذلك لا أتذكر أي شيء.

استيقظت في غرفة **عهد** بصداعٍ شديدٍ، وجسدي يؤلمني ولا أطيق الحراك. أزحتُ المفرش عنّي وشهَقت، فقد كانت ملابسي ملطَّخةً بالدماء. وضعت يدي على جبيني وأنا أفركه بحيرة، ثم دخلت دورة المياه لأغتسل. وقفتُ أمام المرآة وشعرت بتدفُّق الدماء بين ساقيّ.

*لم يحّل موعد الطمث بعد! ما الأمر؟*

*لماذا بتّ في غرفة عهد؟*

اغتسلتُ وبعد ذلك ذهبت إلى غرفتي لأطمئن على شقيقتيّ، وجدتهما تغطان في نومٍ عميق. فكَّرتُ في النزول لأطمئن على أبي، لكنني تذكرت تلك النظرة اللعينة التي رمقني بها البارحة. جلستُ أحاول إنعاشَ ذاكرتي لكي أتذكر ما حدث بعد أن أدخلني إلى غرفته، لكن لا شيء! لا أتذكر شيئًا! هذا الأمر يقودني إلى الجنون!

كنتُ شاردةَ الذهن منذ أن استيقظت، ودقَّات قلبي متسارعة وهو يخفق خوفًا مما أجهل.

لا أعلم ما بال جسدي! فقد أصبح مُحمَرًّا، وحبوب صغيرة منتشرةٌ عليه، وكأنه رد فعلٍ تحسُّسيّ، ولكني لم أعانِ من الحساسيةِ طيلةَ حَيَاتي. ما هذا؟

[12]

# عَسَّاف

استيقظ **عَسَّاف** عاري الجسد. نهض من فراشه ونظر إلى مضجعه، تحسَّسَ أثر الدماءِ على فراشه ثم أعاد النظر إلى جسدِه يتفقَّده، يبحث عن جُرحٍ يفسِّرُ به وجود الدماء على فراشِه، ولم يجد شيئًا!

ارتدى ملابسه وخرج. وجد **عروب** جالسة شاردة الذهن، فرفعت عينيها تتفحَّصه وهو ينظر إليها بغرابة. نهضت من مكانها بخطواتٍ متسارعةٍ وذهبت إلى غرفتها.

ذُهل **عَسَّاف** من تصرُّفِ ابنته وقد تجاهلته تمامًا، وهربت منه دون أن تلقي التحية المعتادة وتُقبِّل جبينه!

لم ينطق بكلمةٍ واحدة وابتلع تلك الغصَّة. راح يتأمل منزله وكأنه يسترجع ذكرياته، فعاد له حنينه لعزَّة، وعادت تلك المعاناة إلى روحه، وأصبحت رغبته حتمية في الانتقام من **قاسم**.

بالنسبة إليه اختار **عَسَّاف** أن ينهي حياة **قاسم** ويثأر لابنته، وإن كان الثمن ضياعه إلى الأبد، لذلك سلَّمَ جسده لخادمِ العقيق الذي استحوذ عليه! والآن هو ليس مُلك نفسه، أوهَمَه الخادم بأنه سيساعده في التخلُّصِ من **قاسم** في أسرع وقت ممكن!

كان يشعر بشـــيءٍ يشبـــه الدوار مع ثِقَلٍ في جســـده، فاستلقى على الأريكة لثوانٍ معدودة، وبعد ذلك نهض ينادي بجهر صوته:

– يـا فتيات! أين أنتن؟

كرر صراخه عدة مرات، حتى سمعن نداءه وجِئنَ مسرعات إليه.

– ما الأمر يا أبي؟ *"قالت عروب"*.

– اجلبن ورقًا وأقلامًا، وتَعَالَن إليّ.

– لماذا؟ *"أردفت عهد"*.

– لا شأنَ لكِ بذلك، اجلبي ما طلبتُ فقط.

أخذت تلك الكلمات البسيطة مأخذها في نفس **عهد**، لم تعتد آباء بقسوةِ الحديث هذه، فهن لا يستشعرن منه عادةً إلّا لين القول وحسن الفعل!

أردفت **عالية**:

– اذهبي يا **عهد**، واجلبيها لنا من أجله.

نهض **عَسَّاف** وهو يهمهم، ثم أردف:

– اجلِسنَ حول هذه الطاولة، سأجلب حاجياتي وآتي.

– حاضر. *"أردفت عالية"*.

بعد أن توارى من أمامهم... همست **عروب** وهي تضع يدها على نحرها:

– لستُ مطمئنة له، أشعر بالغرابة!

– لربما يمر بظروفٍ لا نعلم شيئًا عنها!

– لستُ أدري، لكن هذا ليس أبي الذي أعرفه.

– ولا أنا، وجهه شاحب ونظرته مريبة.

أقبل **عَسَّاف** فَسادَ الصمت. وضع ثلاثة كؤوس أمامهنّ، وسكب داخلها ماء ورد، وخيوط زعفران، ومحلولًا أصفر اللون، ثم وضع في كل كأسٍ خاتمًا من خواتمه.

مدت إليه **عهد** الأوراق، فسحبها من يدها بسرعة، وأردف بنبرة حادة:

– اجلسي!

وضع الأوراق البيضاء أمامهم مع الأقلام، وقال:

– اكتبن ما سأمليه عليكن بالحرف.

أمرهنّ أن يرسمنَ مربعًا مفرغًا، وبدأ يملي عليهنّ أرقامًا وحروفًا هجائية، كل حرفٍ بصفتهِ مثل هاء صاد وهكذا. قالت **عهد**:

– هل تلاعبنا يا أبي؟

- نعم.

وفي أسفل المربع أمرهنّ أن يكتبن:

**توكل يا خادم ـــــ بحق الملك الغالب عليك ـــــ...**

ثم أملى عليهن أسماء غريبة، وعلى كل واحدةٍ منهنّ أن تكتب اسمًا مختلفًا عن الأخرى في الفراغات أعلاه.

ثم ختم الكلمات في نهاية الصفحة بـ ﴿إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ﴾ يس: ٢٩

أمرهن أن يلففن الأوراق ويضعنها داخل الكؤوس، وأخرج من جيبه قماشةً لونها أسود، ووضعها فوق الكؤوس وأدخل رأسه فيها. وصار يتمتم...

**كهعص حوسم دوسم براسم سواسم...**

حمل بعد ذلك الكؤوس على طبقٍ، وذهب بها إلى غرفته، ثم عاد إليهنّ في غرفة المعيشة.

# عروب

بالرغم من أن ليس لديَّ أية خلفية عما فعله أبي؛ إلا أنني استشعرتُ بأنه يستحضر الجن، بدأتُ أشعر بخدرٍ في جسدي، ذهبتُ إلى غرفتي دون أن أنطق بكلمةٍ واحدةٍ وأوصدتُ باب الغرفة. عُدت إلى مضجعي وأنا مُثقَلة بالهمّ، ومستشعرة حجم الكارثة التي تحدث في منزلنا.

أبي ليس أبي!

وأنا لستُ أنا!

غفت عيني وأنا أتمتم بأشياءٍ غريبة، ولا أستطيع منع نفسي من التفوُّه بها.

لا أعلم، هل كان ذلك بسبب تأثير الطقس الغريب الذي قام به أبي أم ماذا؟ لستُ أدري!

"طفلةٌ صغيرةٌ حسناء، تجلس متربِّعة على الأرض في غرفتي، تبكي بلا توقف. نهضت من سريري وأنا أعلم بأن ذلك مجرد حلم، نزلت إلى مستواها ومسحت دموعها، أخَذَت تنظر إليّ نظرة حانية جدًا لم أفهمها، ولا أفهم لماذا كان هذا الحلم صافيًا تمامًا وكأنه واقع ملموس؟

قالت تلك الصغيرة:

– دعنَ كل شيء واهرَبن، ذلك ليس أبي!

– ما الذي ترمين إليه...؟

تفوَّهتُ بتلك الكلمات وشيءٌ ما جعلني أختنق بها، وانشلت حركتي تمامًا. أريد أن أستيقظ، لا حراك!

وأنفاسي محدودة كأنني أتنفس داخل كيس. هل هذا هو الموت؟ لا أريد أن أموت هكذا... هل أقرأ القرآن؟

بسم الـ... زاد الاختناق لا أستطيع فعل ذلك، لا أستطيع.

رنَّ هاتفي واستيقظت بشهقةٍ ودقاتِ قلبٍ سريعة. أسندتُ ظهري. وبدأت آخُذَ أنفاسي ببطءٍ وكأنني أملأ رئتيّ بالأكسجين مجددًا. نظرت إلى الساعة في هاتفي، وكانت تشير إلى الثامنة مساء! لا يُعقَل أنني نمتُ أكثر من تسعِ ساعاتٍ متواصلة، لماذا تركوني نائمة حتى الآن؟

فتحتُ باب غرفتي بهدوء بعد أن سمعت صوت خطوات على الدَرَج. تراجعتُ قليلًا، وجعلت الباب مواربًا.

إنه أبي يحمل أختي **عهد**! فُجِعت وشعرت بالخوف عليها! ما الذي حدث لها؟ وبلا شعور مني فتحت الباب مسرعة، واقتربت منه قائلة:

– ما الأمر؟ ماذا حدث لها؟

نظر إليَّ باستحقارٍ، وقال:

– لا شيء.

– كيف لا شيء؟

وضعها على السرير، لَمَحَتْ عيناي الدماءَ على ملابسها، فتسارعت دقات قلبي وشعرت لحظتها بأنني أشتهي الهرب حقًا أنا وشقيقتاي! يبدو ألَّا مكان لنا هنا. التفت إليَّ بنظرةٍ حادةٍ، وأمسك برأسي بقوةٍ وكأنه يعصره. حاولتُ الإفلات منه، لكنه بدأ يتمتم **"كهعص حوسم دوسم براسم سواسم"**.

لم أشعر بشيء بعد ذلك!

غبتُ عن الوعي تمامًا، وعندما استيقظتُ وجدتُ نفسي على الأرض في غرفة عهد، وجسدي مُخدَّرٌ تمامًا. نهضتُ وهززت جسد **عهد** رغبة في إيقاظها:

– عهد، عهد، عهد، أفيقي.

فَتَحَت عينيها ببُطء، ونَظَرَت إليَّ بعينينِ ناعِسَتَيْن، اعتدلت في جلستها وقالت:

– رأسي يؤلمني.

بدأت دموعي في الانهمار.

– أنا خائفة.

نَظَرَتْ إليَّ **عهد** بذاتِ النظرة البائسة، وعانقتني...

ابتعدتُ وأزحتُ الفِراشَ عنها، لترى أثر الدماء على ثيابِها، شَهَقَت عهد:

– لم أشعر بنفسي!

أخَذَتْ تبحث عن هاتفِها لترى التاريخ إن كان يصادف طمثها، أمسكتُ بيدِها وقلبي يحترق، ونظرت إلى عينيها:

– ليس طمثًا.

عبس وجهها وقالت:

– إذًا ماذا؟

– لستُ متأكدة بعد، لكن حدث هذا معي أيضًا عندما أخذني أبي إلى غرفته.

وضعت عهد يدها على فمها.

– هل وضع يده على رأسك واعتصره، وبعد ذلك لا تتذكرين ما حدث؟!

– نعم، هذا ما حدث تمامًا.

تحوَّلت ملامح عهد إلى الغضب، ونهضت من مضجعها.

– أين ستذهبين؟

– سأسأله ماذا فعل بنا؟

- **عهد**... إنه ليس أبي!

- نعم! هل جننتِ؟

أردفتُ بحيرةٍ من أمري:

- لستُ أدري! لست أدري! لكنني لا أشعر بأنه أبي. تلك النظرة التي يرمقنا بها ليست نظرة أبي، ولا كلماته ككلمات أبي، يتمتم بأشياءٍ غريبةٍ، وتصرفاته منبوذة.

- لماذا تسألين نفسك؟ دعينا نسأله.

- لا يا **عهد**، أرجوك دعينا نتأكد من الأمر.

- ماذا عن **عالية**؟ أين هي؟

هرعنا مسرعتين إلى غرفتها، فتحنا الباب دون طرق...

وجدناها تُصلي...

**عالية** هي الوحيدة التي لم يتمكن منها أبي بعد، لا أعلم لماذا، ربما لأنها شديدة الحرصِ على أذكارها وتحصين نفسها، لم أشعر قط بأهمية أن أتلو أذكاري.

أوصدنا الباب وافترقنا...

أمسكتُ بهاتفي، ووجدتُ مكالمة فائتة من **خالد**، ذلك الرجل المهذب جدًا. عملنا معًا لمدة عامين بكفاءةٍ عاليةٍ. وقد أخبرني قبل أن

أذهب في إجازتي أنه يرغب في الزواج بي، فطلبت منه أن يمهلني وقتًا للتفكير بالأمر، بالرغم من أنني أرغب في الزواج منه بشدة.

أحببتُه بصمت، أحب هدوءه وشهامته واحترامه لكل من حوله، رجلٌ نبيلٌ حقًا. خبأت مشاعري له إلى أن بادرني بطلبِ الزواج مني. منذ أن أخبرني بالأمر؛ تخيلت كل شيء سنفعله معًا، واجتاحني شعورٌ بالبهجة وأنا أرتب أحلامي معه وأشاركه تفاصيلها. تخيلت أن نسافر معًا، وكيف سيكون شكلي وأنا أحمل أول طفل لنا، وهل سنختلف على اسم مولودنا الأول أم ستتفق؟

كنت موافقة على زواجي به، لكني فكرت في شقيقتيّ. كان همّي هو كيف لي أن اتركهن خلفي وأن أتزوج قبلهن... أما الآن، أنا لستُ صالحة للزواج!

ارتجفَت يداي، وشرعتُ في البكاء وأنا أعانِق نفسي!

راودني شعورٌ بأنني خسرتُ كلّ شيء!

وسأبدأ بترتيب خسائري بدلًا من الغوصِ في أحلامي.

"أنت الآن بلا قيمة، تصارع واقعك رغبة منك في انتزاع المخاوف، وما يُنتزع منك هو أمانك، فقد بُعثرت أحلامك، وأنت خاوٍ تمامًا، وخائف جدًا حتى من نفسك"

# عَسَّاف

تلك الطلاسم التي تلاها بحرصٍ وتمتم بها بجهلٍ منه، معتقدًا أنها ستخوله الانتقام من **أبي محمد** وتدميره؛ لم تدمّر أحدًا غيره. بدأت أيامه تتناقص، والشياطين حوله تتراقص، وهو لا يشعر بشيءٍ. إنه لا يملك أدنى شيء لنفسه، لا يملك جسده ولا عقله، لا يملك شيئًا الآن. سلّم لهم كل شيء.

نادى على بناته بصوتٍ مرتفعٍ جدًا، فأتينَ واحدة تلو الأخرى وهو يضع الكؤوس أمامه:

– اجلسن، واشربن الماء ولا تُبسملن!

نظرنَ إليه بنظرةِ ريبةٍ، فأردفت **عروب** بانفعال:

– لن نشرب.

بدأ يتمتم بطلاسمه المعتادة: **كهعص حوسم دوسم براسم سواسم.**

جَثَوْنَ على الأرضِ دون شعورٍ منهنّ.

كانت **عالية** مندهشة جدًا، حيث فعلت كل شيء طوعًا، ولم تكن تحت تأثير الطلاسم، بل كانت واعية.

بدأت تُمثّل أنها تشرب الكأس، لكنها كانت تسكبه على ثيابها ببطء، حتى لا يشعر بذلك.

وشرعت بذكرِ الله في نفسِها: ﴿وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ يس: ٩

وضعنَ الكؤوس، وذهبت كل واحدةٍ إلى غرفتها مُسيَّرة لا مُخيَّرة. وذهبت **عالية** خلفهن، بعد أن اطمأنت أنه دخل إلى غرفته، ثم هرعت مسرعة إلى غرفة **عروب**، وجرَّتها إلى دورة المياه ووضعت إصبعها في حلقها، رغبة منها في أن تستفرغ ما شربته حتى لا يلحقها أذاه. كانت تفعل ذلك وهي ترتعد خوفًا ويداها ترتجفان.

بعد أن استفرغت **عروب** ما في جوفها، بدا عليها الإنهاك، وضعتها **عالية** على مضجعها، وذهبت إلى غرفة **عهد** لتفعل الشيء ذاته، ولكن يبدو أنها تأخرت...

كانت **عهد** تقف أمام المرآة، وبقلم الحمرة تكتب ذات الطلاسم التي أُملِيَت عليها في الورقة. أمسكت **عالية** يدها لتوقفها، لكنها رمتها أرضًا، وقالت بصوتٍ حازمٍ جدًا:

- اخرجي من غرفتي الآن.

نهضت **عالية** متألّمة، وسحبت المفتاح بسرعة لا تُصدَّق وخرجت، ثم أوصدت الباب وأقفلته عليها جيدًا.

عادت **عالية** إلى **عروب** وجلست بجانِبها، وضَعَت يدها على رأسها، وبدأت تقرأ المعوّذات لترقيها وتحصّنها.

تُشَكِّل **عالية** خطرًا ملحوظًا على عُصبَة الشياطين التي تلفّ حول أبيها وشقيقتيها؛ لحرصها الدائم على أذكارِها، وبعد أن شهدت كلّ شيء بوعيها؛ أصبحت تقرأ سورة البقرة يوميًا، وترقي شقيقتيها يوميًا.

بدأت الأمور تهدأ على غير المعتاد، وبدأ **عَسَّاف** يستشعر نفور بناته منه، فتسلل الهمّ إلى نفسه، وقرر أن يصارحهن بما يحدث معه. طرق باب غرفة **عروب**:

– من؟

– أنـا.

تسارعت دقات قلبها خوفًا وخشية، وبتردد أردفت:

– تفضل.

دخل عليها بوجهه الذي تألفه، وابتسم ابتسامة شاحبة، وجلس بجانبها على طرف المضجع، وقال:

– **عروب**، أنتِ أكبرهن وأرجحهن عقلًا. سأخبرك بسرٍّ أخفيناه أنا ووالدتك عنكُنّ.

اعتدلت في جلستها عاقدة حاجبيها:

– سرّ؟

– نعم، كانت لديكن أخت اسمها **عزَّة**، خُلِقَت فريدة من نوعها، وغريبة الأطوار. لديها قدرات على رؤية ما لا نراه، ودماؤها كانت ثمينة جدًا بالنسبة إلى ملوك الجن، وكانت مَطمَعًا لهم. حاولنا وحرصنا على تحصينها وإبعاد كل الشرور عنها، لكنهم تمكنوا منا بسببِ جنّيٍّ مسلم خطَّط لخطفها مع **أبي محمد** جارنا اللعين، و... و...

بعيون تملؤها الدهشة،

– و... ماذا؟ أكمل يا أبي.

– قتلها، وتقرَّب بدمائِها للجن، والآن هو قطبٌ من أقطابِهم، عاد إلى جِواري ليرى إن كانت لدي ابنة تملك ذات قدرات **عزَّة**، وأنا أريد أن أثأر لأختكن **عزَّة**. أريد قتله.

– أبي ما الذي تقوله؟ كيف لي أن أصدق كل ذلك؟ لماذا لم تخبرنا بأن لدينا أختًا؟

– اتفقنا أنا ووالدتك –غفر الله لها– ألّا نخبركن بشأنها، وأن نمضي قُدُمًا دون أن نذكرها، خَشيَةً منّا أن ننجب طفلة أخرى بقدرات **عزَّة**، فنخسرها دون وجه حق.

– كيف تعرفت على قاتلها بعد كل هذه السنين؟

ارتبك وأردف:

– استحوذ نفر من الجن عليّ وامتلك جسدي، وأخبرني بذلك وطمأنني بأنه سينتقم لي من **أبي محمد**.

– وكيف ذلك؟

– سأقتله!

– أبي، هل تسمع ما تتفوه به؟ تقتله؟ ونحن، أين نذهب من بعدك؟

– بقتله، سأحمي الجميع من شره.

– أبي، أنت تخبرني الآن بأن جسدك ليس ملكًا لك؟ هل تعلم ماذ فعل بنا الذي استحوذ جسدك؟

– مـ...اذا؟

تقطعت كلماته الجادة، وسقط مغشيًا عليه.

[15]

## خالد

أفتَقِدُ **عروب** جدًا! لا تُجيب على اتصالاتي ولا رسائلي منذ أن خرَجَت في إجازة. هل أتقدَّم خُطوةً تجاهها وأطرق الباب مباشرة، وأنتظر الإجابة من والدها؟ فأختصر ذاك الطريق الطويل، والقلق الذي يسكنني.

متأكدٌ بأنها تبادلني المشاعر ذاتها، وتتوق لنكون معًا يومًا ما، لذلك قررت أن اتخذ خطوة جريئة نحوها.

طلبتها من والدها حقًا بالاسم. إنني أتقدم لخطبة ابنتك **عروب** زميلتي في مقر عملي. كنتُ واضحًا جدًا معه، ومتأكدًا تمامًا بأنني لم أُخطِئ باسمها في يوم عقد القران الذي لطالما حلمت به، وتخيّلت جميلتي بفستانٍ يتزيَّنُ بها. كان سمعي لحظتها يترقب اسمها من كاتب العدل ويؤكده أبوها قولًا، لكنه قال:

زوّجتك ابنتي **عالية** على كتاب الله وسنة نبيه...

تبدّلت ملامحي في تلك اللحظة من أوج سعادتي إلى استنكار.

كيف لي أن أتراجع الآن؟ كيف أنطق بأنني لا أريد **عالية** بل أريد الزواج بـ **عروب**؟

المجلس يعجُّ بالرجال، لحظتها صُمّت أذناي ولم أسمع شيئًا بعد اسم **عالية**. شعرت بنكزة كوع أبي على خاصرتي وكأنه أيقظني من حلم، وأردفت خلف الكاتب:

– قبلت بها زوجة!

هل أنا أحلم؟ هل أنا مخطئ؟

وقفتُ استقبل السلام والمباركات، بوجهٍ خالٍ من التعابير.

أمسك والدها بيدي وجرَّني خلفه، فتح باب غرفة الجلوس، كانت فتاة جميلة تتوسط المجلس وتبتسم على استحياء. فجأة دفعني:

– اجلس مع زوجتك.

فكرت كثيرًا... ماذا بشأن **عروب**؟

وصلتني رسالة نصية، وأنا أجلس بجانب **عالية**، كان محتواها:

*"هي لا تعلم بأنني أحبيتك، ولا تعلم أنك تقدمت لخطبتي بدلًا عنها. كل شيء حدث خارج إرادتنا. أرجوك لا تكسر لها قلبًا لأنها أمّنت لك. أرجوك يا خالد! حافظ عليها من أجلي، وأبعدها عنّا قدر المستطاع".*

سَكَتَتْ دهرًا، ونَطَقَتْ كُفْرًا! علامات الاستفهام تعج في رأسي.

انقضى الاحتفال، دخلت ذلك البيت راغبًا الزواج بفتاةٍ لكنني تزوجت بأخرى! والآن هي معي وسنذهب إلى البيت الذي رتبته لعروب، وليس لعالية مكان فيه.

أحتاج أن أنام... أحتاج وقتًا لأستوعب به كل ما حدث.

من سيبرر لي ما حدث؟

من سيعتذر لقلبي بشأن حبي لفتاة زوَّجَتني أختها!

لا بد أن ما يحدث في ذلك البيت هو أمر جلل حقًا، لم أصدق سُرعة حدوث كل شيء.

كان أبوها مُصرًّا على أن تتم الملكة والخِطبَة والزواج في يومٍ واحد. لا بد أنه أراد التخلُّص من عالية بالفعل! لكن لماذا؟!

بينما كنت استجمع شتات أمري في مضجعي سمعت صوتها وهي تجهش بالبكاء، ترددت جدًا، هل أسألها ما بها؟ أم أتظاهر بأنني لم أسمع؟!

[16]

## عروب

بكيتُ في ذلك اليوم وفي داخلي حُرقتان، فقدت قُرب شقيقتي، وخسرتُ شخصًا أحببته وتمنّيته زوجًا. بكيت بشهقاتٍ تُسحَب من روحي، وكنت أنتظر الشهقة الأخيرة التي ستخرج روحي معها ولا عزاء لي. انطويت على نفسي متألمة وخائفة جدًا.

مر وقت طويل، ولا أتذكر متى كانت آخر مرة شعرت فيها بالأمان، قلبي يعتصر ألمًا وفي عينيّ دمع لا ينضب. في تلك اللحظة شعرتُ بأن هذا اليوم هو آخر يومٍ في حياتي. غَفَت عيناي ومدامعي لم تجف بعد.

سمعتُ صوتَ بكاء طفلة، فتفحَّصتُ المكان في الظُلمة. طفلةٌ تجلس في زاوية الغرفة خلف الباب تبكي، وهي تدسُّ رأسها بين ركبتيها. نهضتُ وأنا أرتجف خوفًا، واقتربت منها ونزلت إلى مستواها، وقلت:

– ما الأمر هذه المرة يا صغيرة؟

رفَعَت رأسها، ووضَعتُ عيناي في مرمى عينيها، والدمع يجري على وجنتيها، إنها جميلة جدًا، لم أرَ طفلة بجمالِها. لحظتها تذكَّرتُ حديث أبي بأن لدينا أختًا كانت تدعى عزَّة، قُتِلت على يد جارنا اللعين.

– أنتِ عزَّة؟

– نعم، أنا عزَّة. أرجوك اهربي. اتركي هذا المنزل أرجوك!

– كيف أترك أبي وعهد؟

استمرَّت في البكاء، وكأنها ترفض كل شيء ولا حيلة لها بشيء.

– هل أنتِ ميتة حقًا؟

– بعد أن عرِفتِ كل شيء من أبيك، هل ستبقين مكتوفة الأيدي؟

– لا أعلم، لا أحد يساعدني، لا أفهم شيئًا.

– قِسرة سيساعدك، لكن لا تخافي منه. أعلم بأن ما يحدث لك الآن لا يُصدَّق وأعلم بأنك خائفة مني أيضًا، وأعتذرُ إليكِ، لكنني لا أستطيع أن أتركك في هذه المعضلة، وأنا لدي هبة أستطيع بها أن أظهر في منامك.

– منامي! هل أنا أحلم؟ إنني أراك بوضوح لا يشبه المنام أبدًا. هل تمازحينني؟

– لا، أستطيع أن أزور منامك دائمًا، أرجوك اسمعيني جيدًا.

– أخبريني!

– قِسرة من الجن المسلمين، نذَرَ نفسه لإنقاذي، لكنه لم يستطع ذلك، فقد خانه كل من حوله، لذلك عاهدني أن يثأر لي من أبي محمد، وأن ينقذ بيتنا قبل فوات الأوان. احفظي معي ما ستقولينه ليأتي قِسرة...

طرق الباب، فاستيقظت...

أمسكتُ هاتفي وفتحت الملاحظات بسرعةٍ أدوِّنُ بها ما سمعته من عزَّة، قبل أن يتلاشى من ذهني.

طرق الباب مره أخرى، فقلت:

– من؟

– عهد.

حشرجة صوتها أفزعتني، فكرّرتُ سؤالي رغبةً في التحقق:

– مـن؟

– أنا عهد.

فتحت الباب. علَّقَت ناظريها في عينيّ وابتسَمَت بنصف شفاهها، وهي تحرك رأسها بطريقةٍ غريبة. ابتلعت ريقي وقلت:

– ما الأمر؟!

– تعالي معي!

– أين؟

– افتحي الباب له، وإلا كسرته!

– **عهد**، أبي مريض، ويتوجَّب علينا عزله إلى أن يُشفَى.

أردفت بصوت له صدىً مُضخَّم، كانت غريبة جدًا، اقشعرّ بدني من تلك النبرة:

– افتحيه الآن!

– لا.

أمسَكَت ذراعي بقوة، واقتربت مني وفي عينيها تتشقق الشعيرات الدموية، ويزداد جحوظ عينيها، ثم كرَّرت:

– افتحيه الآن.

هُزِمتُ لحظتها! فنزلت وفتحت له الباب، لأنني علمت تمامًا بأنها ليست **عهد**، بل من يستحوذ على جسدها، لكن لا بأس، سأصبر حتى يساعدني **قِسرة**.

في حياتي كلها لم أتخيل قط بأن من الممكن أن أعيش ما أعيشه اليوم. ليته كابوس عابر استيقظ بعده وأنساه... لكنه واقعي المفزع الغريب.

إنها مغامرة مجهولة الهوية والعواقب!

فتحت الباب على أبي فعليًا، لكن معنويًا قد فتحته على المستحوذ على جسده، مع أتباعه وأشياعه.

وركضت مسرعةً، وأقفلت باب غرفتي على نفسي.

سيطر الخوف عليّ وأنا أسمع أصواتًا عاليةً، أعلم أنها ليست هنا، وأصواتًا ترتعد وتقشعر لها الأبدان خوفًا، وأصوات ضحكات، وصرير أبواب، وهمسات متتالية، وفحيح مريب!

مضى يوم وليلة والخوف يسكنني، أخشى فكرة أنني سأتعاون مع جن حتى وإن كان ذلك الجن مسلمًا. إنني ارتجف خوفًا حقًا، وأشعر بأنني لا أستطيع فعل ذلك، بدأت لديَّ أعراضُ المرضِ المريبة، غثيانٌ لا ينفك، ودوار مريب، وبدأت أشعر بالوَهَنِ العام في جسدي، ولربما من ذلك استشعرت بأن الأمور تسير في اتجاه الأسوأ.

بدأت في التفكير باستدعاء قِسرة، وأنا لا أعلم هل الجن يساعدون الإنس حقًا؟ يا له من شيء عجيب! هل أصدق ما أخبرتني به **عزَّة** فأستحضره ليساعدني؟ يبدو أن لا حيلة لي أبدًا!

التمست صدق **عزَّة**، بالرغم من شكوكي بأن ما قد أفعله ربما يزيد نارنا لهيبًا.

لكنّي شرعتُ في الأمر، ولا حيلة لي!

[17]

# قِسرة

لم يكن لي باب للحرية من سجني، إلا بعد أن تُوفّي أبي، بعد أن جاءت أمي لتخبرني بأن أبي قد فارق الحياة، وقد كتب لي وصيته التي عاهدتُ نفسي ألّا أقرأها.

بكَيتُ عصياني لأمرهِ وخذلانِه. عاقبني بقدرِ ما أستحق، فمنذ ذلك اليوم؛ لم أرَه. حينما أدار ظهره لي، وتركني لحبسي وفارقني دون أن يسامحني! بَكَيت فقدان أبي الطويل، وزادت حسرتي بذلك.

في نفس الوقت كاد ذنب **عزَّة** أن يقتلع حنجرتي لعِظَمِه ومرارته. فقد زارتني في منامي كثيرًا تستنجد بي، ودلَّتني على مكانٍ أرادتني أن أراه.

خرجتُ بعد ثلاثِ ليالٍ، وقصدتُ تلك المغارة من أجل **عزَّة**، كانت تريد أن تخبرني شيئًا، لكنها تعجز عن ذلك، ولم أفهم منها غير مكان المغارة. وطَأَت قدماي المكان، وشممت رائحة **عزَّة** وكأنها كانت هنا قبل بضع دقائق. لفتتني المخطوطات الجدارية وبدأت أركّز بأنها مكتوبة باللغة العربية. جلست داخل المغارة لليلةٍ وضحاها، أحاول قراءة حروف **عزَّة** وكلماتها. كنت أقرأ صرخاتها وبكاءها ووجعها، كنت أقرأ

الكلمات، فأشعر بأن صوتها يرنُّ في أذني بتلك الكلمات، وآخر جملة أصابتني في مقتل:

"أرجوك عُد يا قِسرة"

كسرتني كلمات **عزَّة**، وزاد لهيب الانتقام في نفسي، وأصبح هدفي الآن تدمير **قاسم** شر دمار. لم يكتفِ هذا اللعين بقتلِها؛ بل لاحق أهلها وجعلهم يرتكبون أشنع الفظائع!

سأدمره! وهذا وعدي لك يا **عزَّة**.

كان بيت **عَسَّاف** محاطًا بحراس من الجن المردة، بعد أن كان مطوقًا بالملائكة التي تحميه. أصبح يحرسه شياطين ويطوّقونه بسلاسلَ ملتهبة لا مكان فيه للملائكة. إنه مَرتَعٌ لهم يتسلّون ويعبثون بأهله، لا أستطيع أن أدخل هذا البيت دون استدعاءٍ من أحد أهله.

لا معلومات لدي عن شقيقات **عزَّة** غير ما قرأته في المغارة، وهي المأساة التي يعيشونها اليوم في عالم الإنس. ما يحدث في هذا البيت الآن هو من أشنع الجرائم وأفظعها!

بينما كنتُ أمام ذلك المنزل أتفكَّر فيما يحدث داخله، وجدت نفسي في داخله أمام **عروب**، إنسيَّة بملامحٍ لطيفةٍ لا تشبه **عزَّة** أبدًا. ارتَعَدَت خوفًا! أولُ نظرة رمتها نحوي كانت نظرة الخوف، وبمجرد أن تقدَّمتُ خُطوةً نحوها؛ سقطت مغشيًا عليها!

لا أخفيكم، شعرت بالحزن، هل أنا بتلك البشاعة حتى تنفر مني وتسقط أرضًا؟ لفت نظري أن هالةً من نورٍ مشعٍّ تحيط بطنها. لم أفعل شيئًا حيالها، بل جلست بجانبها أنتظرها حتى تستعيد وعيها؛ لتتفاهم بشأن كل شيء.

صرخت فجأة متألمة جدًا وهي تمسك بطنها، وتحوَّلت هالة النور إلى شعاعٍ أحمرٍ يحيط ببطنِها، علمت وقتها بأن شيئًا خاطئًا يحدث. استعادت وعيَها لكنها أغلقت عينيها بقوةٍ خشيةَ رؤيتي. قلتُ:

– لا تخافي فلن أؤذيك. أنا هنا لمساعدتك، وقد جئتكِ بأجمل صورة لي. افتحي عينيك ودعينا نتحدث...

بدا كلامي مطمئنًا، بالرغم من سيطرة الخوف عليها، فاعتدلت في جلستها وهي تمسك بطنها متألمة.

– أنت قِسرة؟

– نعم أنا قِسرة، ما بك هل تتألمين؟

– جاءني حلم غريب لامرأةٍ بشعرٍ أحمرٍ طويلٍ وملامحٍ مُنفِّرة، في يدها مخالب غرستها في بطني، ومزَّقت أحشائي، فاستيقظتُ من الألمِ وكأنما شيء ما تمزَّق في أحشائي حقًا.

ارتبتُ من حديثها، يبدو أنها حامل بطفل كعزَّة، تكتمت عن الأمر، وأردفت:

– لا بأس، تجاهلي الأمر ودعينا في المهم. أخبريني بكل ما حدث كي أستطيع مساعدتك.

ساد الصمت المكان، أخَذَت نفسًا عميقًا، وترقرقت دمعة من محجرها، وشرعت في البكاء. أمسكت بيدي وتحسَّستها، وأردفت:

– هل أنت حقيقي؟ هل أنت جسد مادي بإمكاني عناقه؟ أنا متعبة جدًا!

اقتربت منها، وضممتها وكانت هذه المرة الأولى التي أعانقُ فيها إنسية.

بُكاؤها كان نحيبًا يترجم المعاناة التي تُعايِشها، وحجم المرارة التي تقاسيها. أردفت:

– لا بأس... سنصلح كل شيء معًا.

بعد أن فرغت من البكاء، بدأت تشرح لي كل شيء حدث منذ البداية. وطلبت مني تفسير بعض الأمور لها، أردت أن أستر عنها بعض الحقائق؛ لكنها جعلتني أعاهدها بأن أخبرها تفسير كل ما حدث.

لا أخفي سرًا بأني عندما تحدَّثَت إليَّ بجديةٍ بالغةٍ وشرحت كل ما حدث؛ سرحتُ بتفاصيلِها، عيناها، شفتاها، تعابير وجهها التي تشرح الألم دون أن تنطق حرفًا.

لستُ منحرفًا! لا تفهموني بشكلٍ خاطئ، لكنها جميلة بطريقة استثنائية.

– الأمر معقد يا **عروب**، فملوك الجن لا يريدون والدكِ **عَسَّاف**، بل يريدون أطفالًا من نسله بقدرات **عزَّة** نفسها، وذلك بهدف إنجاز مصالحهم وحل نزاعاتهم في استخراج كنوز الأرض، لذلك؛ وأنا آسف بشأن ما أتفوه به الآن، فإن المستحوذ على جسد والدكِ قد دخل بكنّ، ليعزِّزَ احتمال إنجاب طفلة كعزَّة من ذاتِ نسلِه. أرسل **كسفيائيل قاسمًا** لينجز هذه المهمة لأن **قاسمًا** قطب من أقطابهم. والآن يسعى للارتقاء أكثر، فطَمَعُه متجدِّد لا ينتهي، لكنني أعدك بأنني سأوقف كل شيء. لا تقلقي.

– خلّص **عهد** من المستحوذ على جسدها، أرجوك!

– سأحاول قدر المستطاع، الأهم لديّ الآن هو أن تتواصلي مع **عالية** ودعيها تأتي إلى منزلكم.

– لماذا؟

– هي الوحيدة التي ينفر منها الجن والشياطين لأنها مُحَصَّنَة. لا أحد يستطيع اختراق جسدها ولا استحواذه، ومجرد وجودها سينفّر معظم الجن والشياطين. لذلك أصرَّ المستحوذ على جسدِ أبيكِ أن يتخلَّصَ منها بتزويجِها في أسرعِ فرصة، لأنها كانت تعيق مخططاتهم.

عندما تأتي **عالية**، سأستطيع أن أرتب خطة انتقامي تدريجيًا، وأجهز لهم الكمين!

– لكن...

– **عروب**، استمعي إلي أرجوك، لا وقت لدينا!

– سأفعل.

[18]

## عروب

"أشياء لا تُصدَّق تحدث معي! هل يا ترى سيصدقني أحد حين أرويها؟ لا بأس، أنا لا أصدقني أيضًا. أشعر بأنني أحاكي كابوسًا مزعجًا لا أعلم متى أستيقظ منه. أريد أن أنجو فقط من تبعات كل ما حدث، كل يوم يمر خلال هذه المعضلة يبتِرُ جزءًا من روحي".

اتصلت بعالية وأخبرتها بأننا نفتقدها، بدا على صوتي شيء من القلق، فسألتني إن كنَّا بخير، كذبتُ وقلت لها نعم، وحرصتُ على إخبارها بأن فؤادي منذ أن فارقتني، أصبح كفؤاد أم موسى فارغًا من كل شيء عداها.

طمأنتني بأنهما سيعودان من السفر قريبًا، وستأتي إلى منزلنا. أخذتنا الأحاديث وسألتني عن أبي، فخيَّم الصمتُ حتى ظَنَّت بأني أنهيت المكالمة. تنهَّدتُ وقلت: هو بخير، هل ستعودين غدًا؟

ما زال قلبي منفطرًا، ولا أعرف كيف سأشرح ألمي وأسرد معاناتي في سطورٍ تمر بها -أيها القارئ- على عجل. لأن ألمي ليس ما يثير اهتمامك، تريد المُضيَّ قُدُمًا لتعلم ما نهاية معضلة بيت **عَسَّاف**. لكن سأفضي ما بداخلي وأتمنى أن تقرأني وتستشفّ معاناتي.

لا شيء يترجمُ معاناتي وألمي. إنَّ حالَ ألمي ومعاناتي، كحالِ وجودِك في منتصفِ رحلةٍ لا تنتهي، لا أنت تستطيع الرجوع ولا التقدُّم.

كما أنك لن تسمع قط بأنَّ أحدهم مرَّ بشيءٍ يشبه ما مررتُ به. لطالما كنتُ المعوَّلَ عليه، واستيقظتُ فجأةً لأجدَ ألّا أحد يعيلني. خوفٌ، ومعاناة مؤلمة، وصدمات متتالية، وأحداث مريعة لا تُصدق! في خِضَمِّ كل ذلك؛ كُسِرَ قلبي... لم أستمع إلى ألمِهِ بالرغم من نزفِه بغزارة!

لحظتها كنت أحاول أن أستوعب ما حدث، وما يحدث!

ما تراه أنت أن أبي سرق حبي الأول، وفرحي بزواجي به، وشوَّه مشاعري تجاه أختي التي لا ذنب لها في شيء سوى أنها قبلت برجلٍ صالح للزواج.

وما أراه أنا... مُشوَّش!

لستُ أصدق تَحَوُّلَ أبي بعطفِهِ الطاغي إلى طاغيةٍ لا يُطَاق! يعسف بنا جورًا دون أن يرفّ له جِفن.

حينما أنظر إليه أرتاب شكًّا فيما إن كنت أرى وجه أبي، أم المستحوذ على جسده؟ هل أقبّل جبينه أم أصفعه؟ هل أعانقه أم أهرب منه؟ أنا حقًا على مشارف الجنون.

أنت بالتأكيد تعلم أننا نؤمن بوجود الجن، وأن رؤيتهم مستحيلة. تخيَّل أن تستعصي الأمور معك إلى تلك الدرجة التي تستحضر بها جنيًا من عالمه، وتجلبه إلى عالمك ليساعدك.

أنت الآن تنفي إيمانك وقناعاتك في خضم مصاعب الحياة التي داهمتك.

هل أبكي؟

هل أنهي معاناتي تلك بشفرةٍ حادةٍ أجرح بها معصم يدي الأيسر؟

هل أحارب وضعي المُزر بتعاونٍ مع جنّي؟

أم أقتلنا جميعًا... لنرتاح؟

مشـاعري مضـطربة، ما بين ألـــم وإرهاق وانهيار ورغبة ملحَّة بالانتقام...

وبين كل تلك المشاعر "أنا خائفة جدًا".

هل تشعر بي؟

أرجوك أخبرني قبل أن تقلب هذه الصفحة اللعينة بحثًا عن تكملةٍ تُرضي بها فضولك!

إنني أذرف دموعًا أشعر بثقلها على وجنتيّ، وكأنها تحفر المعاناة على ملامحي، وتشهر للجميع أنني ميتة بمظهر حيّ. الموتُ لا يجرؤ على تشييعِ جثماني، لأنه يعتقد بأنني جزءًا لا يتجزأ من هذه الحكاية، ويجب أن أشهدها إلى النهاية... ثم أترك بصمتي!

"لا يروي الموتى قصصهم، بل يرويها قاتلوهم"

وأنا قُتلتُ منذ تلك اللحظة التي سُرِقَ فيها جسدي من ذلك المستحوذ على جسد أبي، وتركني على فراشي والدماء تتدفَّق مني، وهو لا يعلم ما فعله ولا أنا!

لكن عندما استوعبتُ ما فعله، احتقرتُه واحتقرتُ نفسي، ولست على درايةٍ على من أصبَّ جَامَ غضبي!

منذ تلك اللحظة، وأنا جسدٌ بلا روح!

كل ما أحمله في صدري مشاعرٌ تُصيب عقلي وقلبي بالجنون!

جاءت **عالية** وكأنها الملاك المُطوَّقُ والمَحميُّ بذكرِ الله، دخلت ملاكُنا، فخرجت الشياطين من المنزل، أعلم بأنهم سيجدون طريقة يدخلون بها مجددًا.

عمَّ الهدوء المنزل، واستعاد كلٌّ من أبي وعهد جسديهما لفترةٍ غير معلومة.

عانقتُ **عالية** بمشاعرٍ لم أفهمها! يبدو أنها مشاعر حب تغتاله الغيرة، فقد أصبحت أختي مِلكًا للرجل الذي أحببتُه.

اختلطت دموعنا، ولكلٍ منا شأنه وهمومه الخاصة. اجتمعنا على سفرةِ الطعام، وكنا منذ فترة لم يجمعنا شيء، وبالرغم من عودة أبي وعهد إلى رشدهما؛ إلا أن شرودات ذهنيهما كانت واضحة. شعرتُ وكأنهما عائمانِ في الفضاء. تشَارَكنا الضحكات والأحاديث، ولاحظتُ تَحفُّظ **عالية** عن ذكرِ أي شيءٍ يخصُّها... وعلمت أن خطبًا ما يحدث.

بعد أن أنهينا وجبة الغداء، اصطحبت **عالية** إلى غرفتي، سألتها ما الأمر؟!

أخبرتني بأنه لا يتقبلها أبدًا، ويهرب منها دائمًا، وحرصت على ذكرِ أنه ليس سيئًا، لكنه يتعامل معها بتكلُّفٍ شديدٍ، ولا يعاملها بودِّ الزوج لزوجته.

شيءٌ من السرورِ الخبيثِ دخل إلى نفسي، وحاولتُ أن أهدّئ من روعِها، وأقتنصُ له من الأعذارِ العائمة في ذهني. ربما يمر بظروفٍ أو أنه لم يعتادَ وجودِها بعد.

تنهدت **عالية** مطولًا، وقالت إنها تبذل مجهودًا لجعله يهتم بها، ويعاملها كما يجب أن يعاملها، لكنها تفشل دائمًا في ذلك!

**قاسم** في مجلسه النَجِس، بعد أن أوقد أصابع الشمع وأشعل بخورًا ذا رائحة نتنة، بدأ يتمتم ليستحضر **كسفيائيل**. يريد جلبه ليطلعه على أسوأ ما استُجِدّ، بأن القرينةَ قتلت جنين **عروب** وستلحقه بجنين **عهد**، وطلب منه أن يتصرَّف لأن الأمور في بيت **عَسَّاف** تهوي إلى وادٍ سحيق حقًا. بعد قدوم **عالية** كُبِّلَ معظم الجن أصحاب القدرات، ولم يتبقَّ إلا القلة أحرارًا. وأخبره أن **قِسرة** حُرِّرَ من حبسِه، وعاد لينتقم لعزَّة، وأن **عروب** لم يستحوذ أحد على جسدها.

خطتهم هي الاستحواذ على الجميع، إلى أن تلد كل من **عهد** و**عروب**، ويُسرَقُ الأطفال في حال كانوا زوهريين، وإن لم يكونوا كذلك؛ سيُقتَلون. ويعاودونَ الكَرَّة إلى أن يحصلوا على مبتغاهم.

لكن هناك عناصر كثيرة تُفسِد عليهم مخططاتهم كعالية وقِسرة...

بدا **كسفيائيل** غاضبًا جدًا...

نزاعاته مع القرينة التي تقتل الأجنَّة في بطون أمهاتهم لا تنتهي...

القرينة تقف له بالمرصاد. فبالرغم من شراسةِ ما تفعله، إلا أنها نبيلة بعض الشيء. تقتل الأجنَّةَ في حالتين فقط، في السحر الأسود، وفي تخليص الأطفال من شرِّ أمهاتهم. إذا اعتقدت أن الأم والأب غير صالحين للإنجاب تقتل الأجنَّة مرارًا وتكرارًا، حتى يصل الأمر بين

الأبوين إلى أن يصبح الإنجاب شغلهما الشاغل، فيتلقّوا العلاجات، وجُلّ ما يتمنيانه هو أن يظفرا بطفلٍ واحد في هذه الحياة. وإذا تأكَّدَت من أن الحرمان هذَّب نفسَيهما، وأنهما سيقدِّران ما يُرزقَان به؛ تركته لهما.

ينطبق الأمر ذاته في حالة بنات **عَسَّاف**، لأنه فجورٌ للبشريةِ وللجنّ أيضًا.

لا يفعل هذه الأفعال إلا بهيمة الأنعام، فهي لا تُميّز ولا يزينها عقلٌ كسائر البشر، فقرَّرت أن تواجهَه وتُحبِط عمله. نزاعاتها معه تُفسِد حقًا ما ينوي فعله!

"حلت اللعنة والغضب على الجميع، تعقدت الأمور حتى فقد كل منهما سيطرته.

هل ينتصر الخير على الشر دائمًا، كما تعلمنا منذ الصغر؟

أم أن للشر رواية أخرى قد تبعث الموتى على يد قاتليهم"

كيفية ترتيب جبابرة الجن خططهم للعسف ببني الإنس، تزامنت مع نزاعاتٍ قائمةٍ مع ذويهم. إن تنظيف كل هذه الفوضى يستغرق وقتًا وجهدًا. قرر **كسفيائيل** أن يبدأ بالتخلص من **قِسرة**!

ذهب **كسفيائيل** إلى والدة **قِسرة** وهدَّدَها وتوعَّدَها. لكنها أشاحت بوجهِها عنه وهي متألمة، وأردفت بحسرة:

– سأعطيكَ ميثاقه وأعِده إلى حبسه، فلا طاقة لي. سلَّمتُك أمره.

قالتها بقلب أتلفته المعاناة، وبحرقة أم!

كيف لقِسرة أن يتجاهل وصية أبيه! ويعود ليتطفَّل على حياة الإنس بعد أن عاهد أمّه على العدول عن ذلك؟

صَدْمَتُها كانت كفيلة بأن تُسلِمَ رقبته لألدّ الأعداء، دون أن تأبه به!

أصبح الآن لدى **كسفيائيل** صلاحية حبس **قِسرة** متى شاء.

توجه إليه وقرر أن يحبسه داخل أحد خواتم **عَسَّاف**، ويتخلص منه إلى الأبد.

لكنه تأخر قليلًا...

فقد سبقه **قِسرة** بخُطوةٍ فارِقَةٍ!

## [20]

اتضحت الأمور لدى **قِسرة**، وقرر أن يستخدم قدراته في إفساد مخططات **قاسم**.

صنع له كوابيسَ وأحلامًا متتالية عن والدِه الذي سبقه في تعلم السحر والتعاون مع الجن والشعوذة. وصوَّر له العذابَ المقيم الذي يعايشه أبوه.

تشتت **قاسم** أيّما شتات، وساور قلبه خوف ورهبة من تلقّي ذات المصير.

في إحدى تلك الليالي برائحةِ البخور النتنة، والنجاسة التي تفوح منه، غطّ في نوم عميق...

"في مغسلة موتى يُسكب الماء على جسدِه من تحتِ خرقةٍ بيضاء. يُرى ملامح الاستنفار على وجوه من يغسِّلوَنه، فحاول الحراك وهو يصرخ: **"ماذا تفعلون بي؟"**

كفَّنوه بخرقةٍ بيضاءٍ وهو يصرخ، وريقه ناشف: **"أنا لم أمت بعد، هل تسمعونني؟"**

لا يستطيع الحراك، كُبّلت قُواه التي كان يمشي بها مختالًا فخورًا. ساروا بجسدِهِ المكفَّن الآثِم إلى قبره، حَشَروه في ضِيقِ الحدّ، وهو ما زال

يترجَّاهم ويصرخ فيهم، لكن لا أحد يسمعَه أو يأبه به. تركه الجميع وذهبوا.

ظلمة المكان وضيقه يحبسان الأنفاس. وحراكه لم يحرك ساكنًا. خارت قواه، وسئم المحاولة فاستسلم للأمر.

وإذا برُجلَينِ فوق رأسِه يسألانه: **من ربك؟ ما دينك؟ من نبيك؟**

بالرغم من معرفته لتلك الإجابات، لم يستطع أن ينطق حرفًا ينجو به من هولِ الموقف. علَقَت الإجابات في حنجرتِهِ حتى أوتي بقِدْرٍ كبيرٍ، وسُكِبَ على هذا القِدْر سائلًا أسودًا كالقطران يغلي، لو وُضِعَت يده داخله فستذوب بعظامه من شدة غليانِه، وفُرِشَت له سِجّادةٌ من نارٍ شرارها يتطاير، وقيل له:

توضَّأ بالسائل الأسود، وصلِّ على سِجَّادة النار..."

استيقظ بشهقةٍ، وحاول التقاط أنفاسه. قاوم رغبته الملحَّة في العودة إلى النوم لكن كلما فتح عينيه أطبقتا ثانية حتى استسلم للنوم ثانية.

"يمشي لاهثاً وسط صحراء قاحلة. شمسٌ حارقةٌ تجعله يتصبب عرقًا. يتلفَّت باحثًا عن شيءٍ يستر به رأسه، أو مكانٍ يأوي إليه، وجد واديًا سحيقًا تشتعل النيران منه، سمع من خلالِه صوتًا يألفه، يناديه:

**يا قاسم يا قاسم...**

كلما اقترب، اتّضح الصوت أكثر...

**اهرب يا قاسم، اهرب لا تقترب..**

إنه صوت والده وهو يتأوَّه من شدة العذاب.

صرخ مبتعدًا: ممَّ أهرب يا أبي؟

**– اهرب و أنقذ نفسك من الباطل إلى الحق...**

**– عن أي حقٍ تتحدَّث يا أبي؟ منذ نعومة أظفاري و انا أنتهج ما أورثتني إياه!**

**– ما أنت فيه هو الباطل، ولا يغنيك عمّا أنا فيه الآن من عذاب، لا الضريح ولا الشياطين ولا الجنّ ولا أعمال الشعوذة والسحر. ولن يغنيك إلا الله وحده. اهرب ما دام لعمركَ بقيَّة تستطيع فيها أن تعود للحقّ، وتصلي لله وتعبده وتستغفر لذنبك...**

كانت صـــرخات العذاب من والده لها القدرة على أن تذيب قلبه خَشيَة..."

نهَضَ من منامه هذه المرة ودقات قلبه متسارعة وجسده متثاقل، لكنه هرع للاغتسال يطهّر جسدَه وثيابه. وما أن نوى أن يصلي لله وحده ويستغفر لذنبه؛ حتى ظهرت أمامه نساءٌ عاريات ينوين به فتنة. تزايدت الفتن أمامه وكبرت، وبدأ يقرأ بإصرارٍ سورة الفاتحة التي تلعثم أثناء قراءتها. وبعد ذلكَ قرأ سورة الإخلاص، وبدأت الشياطين تتلاشى من أمامِهِ شيئًا فشيئًا، إلى أن أتمَّ صلاته.

بالرغم من خوفه من الشياطين؛ إلا أنه شعر بهدوءِ نفسٍ وسكينةٍ لم تطرأ على حياتِه منذ أن خُلق في هذا الوجود. فبذكرِ الله اطمأنّ قلبُه وتلاشى ضَنْك عيشه وخرج إلى أهله مسرورًا.

قرر **قاسم** أن يصمد في وجهِ الجنّ والشياطين، ولا يتراجع عن توبتِه مهما حدث، حاله كحالِ كلبٍ لاهث عَطِش لسنوات ثم تذوَّق طعم ارتواء النفس بالطمأنينة والقرب من الله بعبادته وذكره.

شعر بالذنب حيال كل الأشخاص الذين أذاهم بسحرِه وبتسليط الشياطين عليهم.

منذئذ شرع بالتوبة، وبدأ بفكّ الأسحار والشعوذات قدر استطاعته.

"قد يغفر الله ذنبك... ويكفّر عنك سيئاتك، لكن شعورك بالذنب حيال ما فعلته لن ينفك أبدًا، وذاتك اللعينة ستكون هي عذابك في الدنيا"

[21]

## عروب

نجحت مهمة **قِسرة** في توبة **قاسم**... فتخلّص من شيطان الإنس لتتبقى له شياطين الجن.

عاد **قِسرة** إليّ يبشرني بتوبة **قاسم**، وجرّاء هذا سيتخلص منزلنا قريبًا من الجن، وستعود حياتنا إلى سابق عهدها، ترقرقت عيناي بالدموع مع ابتسامة مبللة بالمعاناة. هل انتهى كل شيء الآن؟ وسنعود كما كنا؟ سألته فأجابني:

– نعم قريبًا جدًا.

غمرتُه بامتنانٍ. أخذتني مخيلتي إلى حياتنا السابقة، الهدوء والألفة والمحبة.

وأخيرًا والدي العطوف سيعود كما كان، هذه أثمن الأمنيات وأعظمها بالنسبة إليّ وإلى شقيقتيّ.

نمط حياتنا الرتيبة، تلك العجلة التي ندفعها أنا وأبي بكامل قوانا لنجعل العيش هنيئًا ولترتوي وجوهنا باستقرارنا. متى سنعود حقًا؟

جاءتني لحظة أدركت فيها أنني أعانق جنيًا، فدفعته عني فجأة.

ونظرتُ إلى عينيهِ مطوّلًا، وأردفت:

– هل حقًا أتيتني في أفضلِ صورةٍ لك؟

قهقه ضاحكًا وقال:

– يبدو أنني لا أعجبكِ أبدًا! أنا أستطيع التشكُّل، أخبريني فقط بمن ترغبين أن أتشكَّل فيه.

– خالد.

– من خالد؟!

ما إن تنهَّدتُ بعمقٍ استجمع فيه عِباراتي؛ اختفى قِسرة من أمامي فأرعبني الموقف وشعرت بالخوف، لماذا اختفى فجأة ونزع مني شعوري بالأمان؟ هل كنت أشعر بالأمان معه؟

**"نمط حياتك المُمل سيصبح أمنية، ستتمنى يومًا ما أن تعيش حياة عادية، وستكون ممتنًا جدًا!"**

رنَّ هاتفي باتصالٍ من مقرِّ عَمَلي. انتهت إجازتي منذ عشرين يومًا، لكنني لم أذهب إلى عملي. لا طاقة لي حقًا، وبأي وجه سأقابل زملاء عملي ووجهي شاحب!

نظرت إلى وجهي في المرآة، ابتسمت لنفسي وأنا أطبطب عليها، فكلُّ شيءٍ سيعود إلى سابقِ عهدِه. تبقَّى القليل فقط، فأوضاعنا بدأت تهدأ

شيئًا فشيئًا، **وعالية** ستجلس في بيتِنا لمدة أسبوع، لذلك اتخذت قراري بأن أعود إلى عملي في اليوم التالي.

استيقظت مبكرًا، وتجهَّزتُ للذهابِ إلى عملي. كنت متحمّسة ومطمئنّة. ركبتُ سيارتي ووصلت إلى مقر عملي، سُرِرتُ بحفَاوةِ الاستقبال، وجلست خلف مكتبي وأنا أردد: *"لقد مر وقت طويل"* .

لم يكن الوقت طويلًا حقًا، لكن المعاناة تعادل سنوات، وبين شرودات ذهني أقبل **خالد** بوجهٍ عابسٍ، ونظرةِ اشمئزازٍ غريبة اعتلت ملامحه، ثم جلس في الكرسي الأيسر للمكتب:

– هل أنتِ مسرورة بما فعلتِه؟

أرسلتُ نظرة للسقف، وملأتُ رئتيّ بالأكسجين، واخترتُ الصمتَ وأنا أنظرُ إلى عينيه، فزاد غضبه وانفعاله.

– هل تعتقدين أن ما فعلته محبةً لها؟ على العكس أنتِ دفنتِها. أترين وجهي الآن؟ هذا هو الوجه الذي أقابلها فيه كلّ يوم، ولم أمسّ منها شعرةً واحدة، وهي تجهش بالبكاء بجانبي ولا ألتفت إليها حتى... سأطلّقُها وأعيدها لك والخيبة ستكون خيبتان.

– أرجوك لا تفعل هذا بي! أخبرتك أن كل ما حدث كان رغمًا عنا!

– أنتِ لم تخبريني ما هي أسبابك الخفية. سأرسل ورقة طلاقها غدًا.

قال كلماته السامة وذهب إلى مكتبه. طأطأتُ رأسي لأداري غصَّة في حنجرتي، هرعتُ إلى الخارجِ وبكيت بحرقة، وأنا أداري صوت شهقاتي، أخرجت هاتفي المحمول وكتبتُ له رسالة مطلعها... *"ما سأخبرك به لا يصدق، لذلك أخفيت عنك ما حدث...*

اختتمت الرسالة بـ *"أرجوك، هي زوجتك الآن، وتنتظر منك أن تكون زوجها فعلًا. أستحلفك بالله الذي لآ إله إلا هو، أن تنسى أنني كنتُ في حياتِك، وأن تبدأ معها من جديد. لا ذنبَ لها بما فعل أبي، ولا ذنب لي أن أُعَاقَبَ بأختي! أرجوك أن تفهمني."*

ساد الصمت بيننا ويبدو أنه تفهَّمني، لكنه ترك **عالية** لدينا أسبوعين متتاليين؛ خوفًا علينا وكأنه يحمينا بها.

انفرجت أساريرها، وصارت تحدثني عنه بأنه أصبح يسأل عنها يوميًا، ويحادثها بلطفٍ لم تعهده منه. سُعِدَت بذلك حقًا، حبي لها بدَّدَ غِيرَتي، وأبي وعهد كالحاضر الغائب، يفتقران النشاط إذ يكسوهما خمولٌ غريب.

في أحد الأيام توفيت والدة **خالد**، فذهبت **عالية** لتؤدي واجب العزاء وتقف بجانبهم، وعادت اللعنات تتوالى علينا، ذهبتُ إلى العزاء وعدتُ ليلًا، وفي طريقي حدث ما لم أتوقعه. إذ حلَّ الظلام فجأة، واختفت جميع الأنوار، حتى ضوء سيارتي أصبح لا يعمل. ارتجفت رعبًا،

وأنا أحاول أن أبصر أي شيء أمامي. هل أتوقف أم أكمل؟ ماذا أفعل؟ ارتجفت قدماي، وكدت أفقد السيطرة حين ظهرت أمامي عينان لامعتان من قلب الظلام. أردت التجاوز كي لا أصدمه.

غيَّرتُ مساري فارتطَمَت سيارتي بالرصيف. توقفتُ فورًا، ووضعتُ يداي على أذنيّ وفتحت عينيَّ ببطء. كأنما صُمّت أذناي وعاد إليّ سمعي، وعادت الأضواء مجددًا، كانت أصوات أبواق السيارات مزعجةً جدًا، يبدو أنني أعطل السير. طرق أحدهم نافذتي، ومن حديث شفتيه علمت بأنه ينهال علي بالشتائم.

عُدت إلى المنزل ولا أدري كيف عدت! وما إن وطَأت قدماي المنزل؛ بدأت أستشعر بأن الأرواح الشريرة عادت إلى المكان. شعرت بأن أحدهم خلفي يمشي تبعًا لخطواتي. لا أخفيكم سرًا، فقد نسيت أمر **قِسرة** تمامًا، وكأنه لم يكن. بعد أن أخبرني بأن **قاسم** سيزيل عن بيتنا ما أصابنا صدَّقتُه، لكن ما أشعر به الآن لا يُطمئن!

رأيت أبي يجلس القرفصاء ويكلّم نفسه بصوتٍ غير مسموع، ركضتُ مسرعةً إلى غرفةِ **عهد**، وشعرتُ بأنَّه يلَحق بي، صرخ بي:

– توقفي!!!

دخلت غرفة **عهد** وأقفلت الباب، تفوح من الغرفة رائحةٌ غريبةٌ تشعرني بالغثيان! والغريب أن **عهد** لم تكن في الغرفة أصلًا! لا أدري أين ذهبت!

تملَّكني الخوف عليها مجددًا، فانزويت على نفسي فوق مضجعها وأنا أقرأ ما تيسَّر لي من القرآن.

وما زال أبي يطرق الباب لكنني لن أفتح له!

[22]

# قاسم

دقت ساعة الغضب، وأضرمت النيران ذاتها. أصرّ **قاسم** على المضي قُدُمًا، وعدم الانصياع مجددًا لأوامر الشياطين وجبابرة الجن، بالرغم من تهديداتهم وتوعُّدِهم له إلا أنه أصرَّ على موقفه.

قرر أن يحتزم بالله، لا يريد التفريط بطمأنينته في القربِ من الله.

إنه يجاهد الباطل من أجل الحق، هدَّدوه بأن يقتلوا أبناءه ولم يستجب لتهديداتهم، فمات أبناءه أمامه واحدًا تلو الآخر. ما حدث لهم كان غريبًا! إذ يتضخَّم الجسد، ويصبح أحمر اللون، ثم يتقيؤون دمًا حتى ترحل روحهم إلى السماء. حدث الشيء ذاته لزوجته وقبل أن تلفظ أنفاسها الأخيرة قالت له:

– نحن نُجزى بما عملنا، أنقِذ **عَسَّاف** وبناتِه، لعلَّك بمساعدتهم تخفِّف عني العذاب.

خسر **قاسم** زوجته وأبناءه خلال أسبوعٍ واحدٍ فقط. انهار وهو على درايةٍ بأن ما يحدث له نقطة في بحر ما فعله بحياة الآخرين. كان يبكي بحرقةٍ، ويقول بصرخات من روحه:

**انتقموا مني أنا! مشكلتكم معي أنا! ما شأن أبنائي؟**

حُرِقَ قلبه، وأقسم ألا يعدل عن توبته مهما حدث.

خلت حياته من كلِّ شيءٍ. بات منزله موحشًا، وتضاعف شعور الغربة في قلبه، فقرر الرحيل إلى بلاده!

لكنه كان يفكر كيف يمكن أن يخلِّص **عَسَّاف** مما فعله به.

الشياطين أشهرت سيوفها في وجهه، ولا يعلم كيف سينتهي به المطاف!

قصد **قاسم** بيت **عَسَّاف** كثيرًا لكن لا إجابة. تآكلت روحه من الوحدة وتشتّتت أفكاره بين الرحيل والبقاء!

[23]

## عروب

ضـوءٌ سـاطعٌ يكسِـرُ ناظريّ. شـعرت بالانزعاج فقاومته قدر المسـتطاع. صـوتُ خطواتٍ تقتربُ منّي، فألقَيتُ نظرةً، وإذا بهيئةِ أمّ وطفلتها قادِمَتين نحوي، لا أسـتطيع أن أشـهر ناظري بهِمَا ولا التركيز في ملامحهما.

أمسَـكَت بيدي وجَثَت على ركبتها، إنها أمي! أرسـلتُ نظرة خاطفة على الطفلة، إنها عزَّة.

أمسـكت أمي بيدي اليمنى، وعزَّة باليد اليسـرى، بينما أنا واقفة وهما جاثيتان.

وضـعت أمي جبينها على ظهر يدي وراحت تفركها برقة، ثم سـمعتُ شهقات بكائها وهي تقول:

- أرجوك يا ابنتي! لا تفعلي ذلك.

في هذه الأثناء، كانت عزَّة تضربني بقبضتي يديها، وهي تبكي بحُرقة.

وأنا لم أنطق حرفًا.

فتحتُ عينيّ فجأةً على أشعة الشمس التي تخللت من النافذة، فأبهرني ضياؤها كما في المنام.

نهضت وأنا أستجمع في ذهني ما حدث في الأمس وفي المنام.

كنت أتضوَّر جوعًا، فخرجت من الغرفة وأنا أحسب خطواتي، وأمشي بهدوء حتى وصلت إلى المطبخ. أوصدتُ الباب خلفي وتمنيت لو أستطيع قفله. بدأت أُعِدُّ طعامًا أَسُدُّ به جوعي، وأهرب بعدها إلى عملي. هكذا كنت أفكر وقتها.

لماذا أنا هنا؟ ماذا لو استأجرت شقةً أمكث فيها، ريثما يعود كل من **عهد** وأبي إلى وضعهما الطبيعي؟

هذا أفضل حلّ، فلم يعد باستطاعتي تحمُّل كل ذلك، فقد أصبحت مرتعبةً ومُدمَّرة نفسيًا، يرجِفُ قلبي في اليوم آلاف المرات خوفًا. لست آمنة، وقلبي يؤلمني من كل ما يحدث معنا. ابتلعت غصّتي هذه المرة، ومسحت دمعي الصامت، وأمسكت بالسكين أقطع بها مكوّنات "السَلَطَة" التي سآخذها معي.

**فجأة...**

فُتِح باب المطبخ بقوةٍ وصُفِع به الحائط، كاد قلبي أن يخرج من مكانه من الخوف.

ابتلعت ريقي والتفت بجسدي، إذ اعتقدت أنه أبي أو **عهد**.

لكن ما حدث كان مهولًا وغير متوقع جعلني أشهق. شهقت دفعات من الهواء إلى أعماقِ أحشائي.

هذا جارنا اللعين **قاسم**! ما الذي أتى به إلى منزلنا؟!

أمسكت السكين وقلتُ بنبرةٍ مرتجفةٍ:

– ماذا تفعل في منزلنا؟ اخرج الآن وإلا قتلتُك.

– لن أخرج. *"مقتربًا نحوي بابتسامة خبيثة"*.

– لا تقترب، سأقتلك!

– لن تفعلي ذلك، سأنجب منك طفلًا قبل أن تفعلي.

شعرتُ بقوايَ تخور، وصرخت في وجههِ مترجِّية:

– أرجوك ابتعد عني، أرجوك.

– دعيني أفعلها مرة واحدة، وبعد ذلك سأذهب.

– ماذا تفعل؟

– سننجب طفلًا، هيا تعالي!

– لا، لا، لا أرجوك! أرجوك لا تقترب، سأقتلك!

– لن تفعلي.

– أخبرني قِسرة أنك تُبت! كيف لتائبٍ أن يعدل عن توبته؟ ألا تخاف الله؟

– وهل صدقت قِسرة؟

استجمعتُ قوايَ، وبدّلت تلك النظرة البائسة المترجّية من على وجهي، واشتعل الغضب في نفسي ومرّت أمامي كل المعاناة التي عايشناها بسبب هذا الجار اللعين. صرختُ بأعلى صوتي وأنا أطعن السكين يسار صدره بكل ما أوتيت من قوة وغضبٍ وألمٍ ومعاناة!

سقط أرضًا، وأنا لا أنظر إلى شيء سوى موضع السكين في صدره. استخرجتُها وطعنته ثانية، وتوالت الطعنات. كانت انتقامًا لكل شيء، ولنا جميعًا، تلوثت يداي ووجهي بدمه، فنظرت إلى نفسي وقلت بصوت مسموع:

سفكتُ دماءه..

سفكتُ دمَه، وجعلتُه قُربانًا لأتباعه وأشياعه من الجن والإنس.

هذا الذي دمّرنا بلا رحمة.

انتهى كل شيء، لستُ خائفة بعد الآن.

لا بأس الآن بسجنٍ مؤبدٍ أو قَصاص!

فقد تحرَّر أخيرًا ذاك الشيء المكبَّل في صدري.

إنها حرية حدوث ما كنتَ تخشاه طيلة حياتك!

توقفتُ عن الركض، ها أنا أتنفس بعمقٍ، يعانق الأكسجين رئتاي، ويضخُّ الدّمَ الباردَ في شراييني، أكاد أستشعر برودة أنفاسي.

لستُ خائفة بعد الآن...

بعد ذلك ألقيتُ نظرة خاطفة إلى وجهه، بدأت أفرك عينيّ وأقترب أكثر لأتحقَّق مما أراه!

صُعِقت لحظتها، وصرخت وجعًا داميًا، وتبدَّل شعور الحرية بلوعةِ الصدمة.

لاااااااااااااا!

لاااااااااااااا!

لم يكن **قاسم** بل كان أبي!

لماذا فعلت هذا يا أبي؟ جثوتُ قربه باكية.

أرجوك لا، لا تفعل هذا بي، أقسم أن من رأيته كان **قاسم** وليس أنت.

اختلطت دموعي بدمائه وأنا أعتذر.

آسفة، آسفة، آسفة، أرجوك سامحني يا أبي أرجوك!

أمسكتُ السكين مجددًا، راغبة في قتل نفسي، لكن عزّ عليّ أن يُترك أبي هكذا بلا دفن ولا تشييع جثمان. اتصلتُ بالإسعاف ثم بالشرطة.

نطقتُها بعيونٍ شاخصةٍ وجمودٍ لم أتوقعه. كأن تعابيري قد تصلَّبت:

– "قتلت أبي، منزلي في شارع أبي الحارث، اتصلت بالإسعاف سابقًا".

عدت بعد ذلك ووضعت رأسي على صدره ويده التي اعتدت عطفها على كتفي، وانا أمسح على وجهه.

أنا الآن انتظر عقابي الذي أستحقّ. اللعنة! أية ابنة تلك التي تقتل أباها؟ أي نوع من البشر؟ لن يصدّقَ أحد أنني رأيت **قاسمًا** وليس أبي.

عندما يسألونني لماذا قتلت أبيك؟

ماذا سأقول؟

نعم، قتلت أبي بلا أدنى شعور بالذنبِ حينها، لأن من قتلته لم يكن أبي!

مضى كل شيء أمامي وأنا ساكنة دون حراك، خالية من التعابير وقد تخدّرت مشاعري، حُبستُ في حبسٍ انفراديّ، وشُيّع عني في السجن بـ **"قاتلة أبيها"**.

أستمع إلى أحاديث السجَّانات عني. قالت إحداهن أنني ربما مجنونة! وأخرى تنفي ذلك.

يتكرر هذا الموقف كلما تغيَّرت دورية العمل. كنت أبكي بصمتٍ كلَّما استمعتُ إليهنّ.

إلى أن سمعت إحدى السجَّانات تقول: "لا بد أن لها أسبابها كي تفعل ذلك. يستحيل أن تقتل ابنة أباها. لربما فعلتها وهي غير مدركة للأمر وربما استحوذ عليها جنيّ مثلًا".

شعرت بالراحة من حديثها.

لكنها أطلقت ضحكة ساخرة بعد ذلك الحديث جعلتني أستشيط غضبًا، فصرخت وأنا أضرب باب الزنزانة:

– ما المضحك في الأمر؟ لم يكن أبي من قصدتُ قتلَه.

ساد الصمت المكان...

أجهشت في البكاءِ بصوتٍ عالٍ، وبللت دموعي مضجعي. استمريت في البكاءِ إلى أن شعرت أنني في حال عدم توقفي؛ سأفقدُ صوتي وستنفذ مدامعي خلف القضبان.

الوقت يقطعك ولا تستطيع قطعه أبدًا. لا قيمة للوقتِ بالنسبة إليّ، فلا شيء ينتظرني، غير حبل مشنقة يلتفُّ حول عُنُقي، ويُسحَبُ الكرسيّ من تحتِ قدميّ. لأصارعَ حتى ألفظ آخر أنفاسي.

حينما قررت طعن **قاسم**، كنت على درايةٍ أن نهايتي هي الإعدام، ومع ذلك؛ أقدمتُ على الأمرِ وأنا أشعر بثلج النصر ولهيب الانتقام يسريان في أوردتي، ففي اللحظة ذاتها تحوَّل ثلج النصر إلى نارٍ مشتعلةٍ. تيقَّنتُ أنني انتقمت من نفسي. أنا التي عشت طيلة حياتي هادئة مسالمة لم ألحق الأذى بأحدٍ من حولي، لم يحدث أن تخيَّلت حتى أنني قد أكون قاتلة أو آثمة يومًا ما.

كنت أنام وأستيقظ وأعود، لا أستطيع النوم. لا قيمة للأيام ولا للوقت. استيقظ مفزوعة كل ليلة، وأتصبب عرقًا من الكوابيس الغريبة، ويتكرَّر لديّ منام قتل أبي كل يوم. يُصَوَّر لي وجهًا آخر، أفزع وأبكي ولا أحد بجانبي. عانيتُ الألم والوحدة في آنٍ واحد. كنت أرى وجه أبي في كل مكان. رائحة الدم ومظهره على يديّ لا تفارقني.

صارعتُ آثار الصدمة يومًا بعد يوم، إلى أن قررت إدارة السجن أن تصحبني إلى طبيبة نفسية تفحص سلامة عقلي. استقبلتني بوجهٍ طلق وبابتسامةٍ عريضة. في الواقع استغربتها كيف تستقبل بهذا الوجه قاتلة! ولستُ أية قاتلة، فأنا **قاتلة أبيها!**

ألفتُ الحديث معها، وأخبرتها كل شيء منذ البداية، وتنهَّدت وأنا أنهي حديثي: أعلم بأن أحدًا لن يصدقني بأنني رأيت وجه جارنا وليس أبي. في كل الحالات عقوبتي لن تتغير ولو صدقوني.

طرَحَت عليّ أسئلةً كثيرةً، حتى اعتقدت أنها محقّقة، وليست طبيبة نفسية.

صرفت لي عقاقيرَ، وكتبت بشأني تقريرًا أودعته في ملفي.

أعادوني لكن إلى زنزانة أخرى ثنائية، أنا وامرأة عمرها يناهز الأربعين. استغربتُ الأمر، لماذا وضعوني فجأة مع نزيلة بعد كل ذلك الوقت؟ رمقتُها متفحصّة، وبعدها تقوقعتُ على نفسي في مضجعي، لعل في الأمر شيئًا خاطئًا...

نطقَت المرأة بصوتها المبحوح:

– ما قضيتك يا فتاة؟

اخترتُ الصمت...

– يبدو أنها قضية مخدرات، أو ربما ديونًا. لماذا السكوت؟ دعينا نتحدث، سئمتُ الحبس الانفرادي.

تجاهلتها تمامًا، فلا طاقة لي للحديث.

مذاقُ الطعام هنا سيء، والمضجع مؤلم جدًا.

يخلو المكان من الحياة، طلبتُ منهم دفترًا وقلمًا لعلِّي أهرب بالكتابة من كل ما أعانيه من صعوبات، لكنهم رفضوا الأمر. طلبتُ منهم كتبًا أقرؤها، ولم يزودوني بشيء. مضى شهرٌ كاملٌ، وكأنه سنة!

يومٌ ما في وقت الزيارات، فتحوا الباب وأخبروني بأن أحدهم يرغب في زيارتي.

وضعت السجَّانة الأصفاد على يدي وجرَّتني معها، وأدخلتني غرفة ضيقة فيها هاتفٌ معلقٌ على الجدار، وحاجزٌ زجاجيٌ بثقوب. أجلستني على الكرسي وفكَّت الأصفاد وأغلقت الباب.

في الجهةِ المقابلة باب دلفت منه **عالية** بوجهها المشعُّ دومًا. نهضتُ فور رؤيتها، وأمسكت سماعة الهاتف.

كان الصمتُ سيدَ الموقف. نظَرَت إليَّ بعينينِ دامعتينِ، وأنا أنتظر منها أن تنطق، أن تعاتبني، أن تلومني، أن تغضب. قالت بصوتٍ مخنوق:

– ما الذي فعلته يا **عروب**؟

جرت دموعها المتحسّرة على وجنتيها، تنتظر مني إجابة.

– **عالية**، أنتِ لا تعلمين شيئًا مما حدث لنا أنا و**عهد**، وما فعله أبي بنا.

– أخبرني **خالد** كل شيء، وهل القتل حل؟

– لم أقتله، أقسم لك! لا أعلم لماذا ولا كيف حدث ذلك! لكنني رأيت جارنا **قاسم** هو من كان يقترب مني بشكلٍ مخيف. قتلته لأمنعه من الاقتراب مني، وبعد أن قتلته تحوَّل وجهه إلى وجه أبي!! أعلم أن أحدًا لن يصدق ما أقوله، ولكن هذا ما حدث.

بَكَينا معًا دون أن نطبطب على بعضنا كما اعتدنا، بكينا خسارة أبينا، وبكينا خيبتنا، بكينا تشتُّتَنا.

ثم نطَقَت **عالية** بحسرةٍ:

– **عهد** اختفت تمامًا، ولا أثر لها. بحثت عنها في كلِّ مكانٍ دون جدوى.

لم تكن في المنزل في تلك الليلة التي عدتُ فيها بعد العزاء. مكثتُ في غرفتِها وعندما استيقظت لم أرَها أيضًا. ألم تكن موجودةً في المنزل يوم الحادث؟

– لا، لم أرَها. كل ما أعلمه هو أن **عهد** متضررة جدًا. والمستحوذ على جسدها يتحكَّم بكل تصرفاتها منذ أن شربت مياه أبي بطلاسِمِها ولم تعد كما كانت.

– لا حول ولا قوة إلا بالله! لا أعلم ما عليَّ فعله! ولا إلى أي مكان أتجه! عائلة خالد أصبحت تنبذني منذ الحادث، وينوون التخلص مني

بالرغم من أنه أصبح متعاطفًا معي جدًا ويحاول مساعدتنا، لذلك جئت لزيارتِك؛ لنرى كيف بإمكاننا حل هذه المشكلة.

– **عالية**، عن أية حلولٍ تتحدثين؟ أنا قاتلة وسأُعدَم قريبًا... دعكِ مني، ابحثي عن **عهد**، وعيشي حياتك كما يجب أن تُعاش. انتهى بي المطاف إلى هنا ولا خلاص لي. هذ ما جنَت يداي.

– لا تتفوّهي بتلك الكلمات ودعي أمَلكِ بالله قويًّا. حافظي على صلاتك وأذكارك، وادعي الله كلَّ يومٍ أن يفرّج كربتك. لا تقنطي من روح الله، أرجوك يا **عروب** افعلي ما قلته لك.

قطع حديثنا صوت السجَّانة بانتهاء وقت الزيارة، وأعادت الأصفاد إلى يدي. عدتُ إلى زنزانتي مع شعورٍ بشيءٍ من الطمأنينة بعد زيارةِ **عالية**، وحديثها عن الأمل، وإن كان غير مجدٍ إلا أنه بعث في نفسي شيئًا من الأمل حقًا، وَقْعُ كلماتها جعلني أفكّر بأمرٍ مهمٍ هو "**علاقتي مع الله**". لم أكن عاصية لكنني مقصِّرة. لم أقرأ أذكاري قط، ولا أقرأ القرآن إلا نادرًا. أصلّي صلواتي المفروضة على عجلٍ وبلا حضورِ قلب. تأمَّلتُ في حياتي السابقة بنظرةٍ ثلاثيةِ الأبعاد، يا الله! كم كنت مقصرة معك ولم أعبدك حق عبادتك، أيامي معدودة، ولم أفكر بماذا أواجه بعد الموت.

هل أنا مستعدة للعودة إلى ربي؟

لا بأس! لدي متسع من الوقت وإن كان شهرًا أو أيامًا قليلة.

سأصلح علاقتي معه إلى أن ألقاه...

الحمدُ للهِ، لعلَّ ما حدث معي فرصةٌ لإصلاحِ ما بيني وبين ربي.

بدأت حقًا في الإصلاح، طلبت منهم مصحفًا فجلبوه لي. كنتُ أصلي بكاملِ جوارحي، وأدعو الله أن يتوب عليَّ ويغفر لي ذنوبي ويفرّج كُربَتي.

مع مرور الأيام، عانق روحي شيءٌ من الطمأنينة والراحة والسكينة في نفسي، وكأنني وُلدتُ من جديد. يمضي الوقت ولا أشعر بضجرٍ، لأنني وضعت لنفسي هدفًا، وهو أن أذهب إلى ربي بنقاءِ سريرتي.

حتى الأيام التي كنت أحزن فيها من استرجاع ذكرياتي مع أبي وشقيقتيّ، كنت أشكو حزني إلى الله، فأنام خفيفة واستيقظ براحة.

قضيّتي مُعَلَّقة، وما زال التحقيق بشأني جارٍ.

يومٌ ما، راودني حُلمٌ لأبي وهو يعانقني ويبكي بحسرةٍ وندمٍ، ويعتذرُ إليّ. كان عناقَه لي في هذا المنام أشبه بالحقيقة، إذ ربت على ظهري وهو يعانقني قائلًا: لا بأس، ستمضي هذه المعضلة، ستمضي.

استيقظتُ على صوت السجَّانة تنادي اسمي، فنهضت.

– **عروب**، غدًا في التاسعة صباحًا لديك تحقيق، استعدي لذلك ولا تتأخري في الاستيقاظ، فكَّ الله أسرِك.

- حاضر.

كلمتها الأخيرة حانية جدًا، ما أرقّ تلك الدعوة، هل سيُفكّ أسري؟

لستُ أدري، لكن ليفعل الله ما يشاء. روحي منعمةٌ بالرضا والتسليم لأي شيءٍ والحمد لله. حتى أنني أصلحت ما بيني وبين ربي ولا أخشى الموت الآن. وهبَني ربي فرصةً ذهبية أعيد فيها روحي التائهة في هذه الدُنيا الدنيئة.

لم تزرني **عالية** ثانية، ولم أستطِع الاتصال بها لأنني لا أحفظ رقم هاتفها، لكنني أحفظ رقم هاتف خالد حتمًا. أخجل أن أهاتفه. يسمحون لنا بمهاتفةٍ ظهرًا، لكنني لم أحجز قط مهاتفة، فذاكرتي لا تسعفني بأرقام الهواتف. حفظت رقم أبي وخالد فقط، لكنني لن أهاتفه!

استيقظت فجرًا، صلّيت ودعوت أن يفرّج الله كُربَتي، وبدأت في الاستعداد. كلُّ شيءٍ هنا محددٌ بوقتٍ. إذ تبذل جهدًا لتحظى بدورِك في الاستحمام والطعام وغسيل الزيّ الموحد. السجنُ يلقّنكَ درسًا بحقٍّ، لن تنساه ما حييت.

"للحرية قيمة عظيمة لدى السجناء، لا ينتفع بها الأحرار".

أخذوني إلى التحقيق، وأخبرني المحقق في بداية الأمر بأنه قد وصلته أقوال من أختي بأن أبي قام باغتصابي، وكنت أدافع عن نفسي عندما قتلته. سألني عن صحة الأمر، الإجابة هي نعم، لكنها غصّة في حنجرتي، لم أقدر على إخراجها ولا ابتلاعها فقلت:

– لم يكن هو من قتلت بل المستحوذ على جسده.

قطب جبينه بنظرةٍ حادّة، وصرخ بي:

– ما الذي تتفوَّهين به؟ هل تتناولين أدويتِكِ يا فتاة؟

– نعم أتناولها.

– إذًا أجيبي على قدرِ السؤال. هل كان أبوك يغتصبك، هل فقدتِ عُذريّتك؟

شرعتُ في البكاء، ونطقت بصوتٍ مرتجفٍ:

– نعم، فقدت عذريتي.

– إذًا، ستُحالُ القضيةُ إلى المحكمة، بعدما نرسلك الآن إلى الطبّ الشرعي للتأكدِّ من ذلك.

– ماذا سيحدث بعد ذلك؟

– ربما يُخفَّف الحكم عنك.

لديك أخت مختطفة، هل تعرفين عنها شيئًا، أو إلى أي مكان يمكن أن تذهب؟

– لا أعلم، لكنها أيضًا مغتصَبة، ولربما هي حامل.

– كيف علمتِ ذلك؟

– من شحوب وجهها وتغيُّرات جسدها.

– هل تعتقدين أنك حامل؟

– كنت كذلك، لكنه سقط أثناء نومي.

انتهى التحقيق، وجرتني السجَّانة دون أن ينتهي فضولي في معرفة ما سيحدث، وبالرغم من الضيق الذي يغمرني؛ فقد لوّن بصيص الأمل روحي الذابلة. هل ستمنحني الحياة فرصةً أخرى للعيش؟

في طريقنا إلى الطب الشرعي، تأمَّلت الشوارع والبشر من خلف شبكٍ أسود. غبطتُ كلَّ من رأيتهم يستطيعون استنشاق الهواء وهم أحرار، فلا أصفاد تقيّدهم، ولا قضية قتلٍ تؤرّقهم.

فحصتني الطبيبة سريريًا، وأجرت لي بعض الفحوصات المخبرية، ولم تنطق بكلمةٍ واحدة. لديَّ فضول يشغلني، هل حصلت على دليلٍ يجعلني أنجو من الإعدام؟

– هل سأنجو من الإعدام؟

أرسلَت لي نظرة جامدة، وعادت تحدّق في شاشة الحاسوب. كان الصمت في هذه الأثناء كفيلًا بأن يجعلني أبكي. رمقتني بنظرةِ استحقار وبصوتٍ يخلو من العطف:

– لستُ أدري! أنا مجرد طبيبة.

عدتُ وأنا أحمل في داخلي ضغينة على تلك الطبيبة الخالية من المشاعر. بعد ذلك هدّأت من روعي وتذكّرت بأنني قاتلة لا يتعاطف أحد معها. أنظر دائمًا إلى يديّ بغرابة، كيف ليدين بهذا النحول وهذا الحجم أن تقتل رجلًا بطعناتٍ متتالية؟! من أين أتيتُ بتلك القوة التي حوّلتني إلى **قاتلة لأبي؟**

في أثناء استرجاعي لما حدث، ارتجفت يدايَ وشعرتُ بخوفٍ شديد فتسارَعَت دقّاتُ قلبي، وشعَرتُ أنني لا أستطيع التنفُّس، تصبَّب العرق من جبيني وانزويت إلى المضجع، وبدأت أصرخ وأغطّي أذنيّ بيديّ.

تجمّعت السجّانات حولي يطلبنَ مني أن أتنفس ببطءٍ، لكنني شعرت بأنني سأموت لا محالة! ضربتُ على صدري مرارًا مشيرة بأنني لا أستطيع أخذ أنفاسي. حملنَني إلى الإسعاف وقد كاد الخوف يقتلع أنفاسي. شعرتُ بدقات قلبي المتسارعة من علو صدري وهبوطه، والعرقِ يتصبَّب من كل جسدي.

هل سأموت الآن؟

هل أنا خائفة من الموت حقًا؟

هل أنا جاهزة للقاء ربي الآن؟

كنت أحدِّق في سقف سيارة الإسعاف، إلى أن اسودَّت في عينيّ الأشياء، وغبتُ عن الوعي.

فتحت عينيّ ببطء، أين أنا! شيء من الحرية عائم في هذا المكان، شعرتُ بحكَّةٍ في أنفي، فرفعتُ يدي لأفعلَ ذلك، رفعتُها بقوةٍ وسرعةٍ، ولوهلةٍ نسيت أنني مجرمةٌ والأصفادُ تُقيّدني أينما ذهبت.

أزاح الطبيب الستار متوجسًا:

– كيف تشعرين الآن؟

– الحمد لله.

– ما أصابكِ كان نوبة هلع، حاولي أن تنامي جيدًا، وتبتعدي عن التوتر والقلق، وتناولي أدويتك. رافقتكِ السلامة.

– حسنًا.

نوبة هلع ما كان ذاك! لا بد أنني بدأت أعيش أعراض ما بعد الصدمة! وجسدي يؤلمني.

عُدتُ إلى زنزانتي بفراغِ صبرٍ، وأريد حقًا أن يُبتَّ في أمري الآن.

إعدام؟! هيا اعدموني الآن.

سجنٌ مؤبد؟! لا بأس، سأتخذ في السجن أسلوب حياة لي.

أنا مُعَلَّقةٌ بين السماءِ والأرض. أشعرُ بالملل وقد سئمتُ ما أشعرُ به.

سأختنق...

ثقل العيش بالاحتمالات الضئيلة يؤرقني جدًا.

لا أحد يتصل بي، لا أحد أقطع معه نمطية الوقت وروتين العقارب التي تدسُّ سُمَّها في الساعات لتشل حركة الوقت، وتضع مخالبها على عنقي لأختنق وأموت.

أموت!

هل هذا ما أريد؟ أم أنني أصارع من أجل البقاء؟

حتى وإن كان البقاء في كنف عزلةٍ لامتناهية بين ثلاثةِ جدران وقضبان حديدية.

في السجن، الجميع يعلم بأنه حُرِمَ الحرية كما يريدها.

وأنا حُرِمتُ الحريّة وسأُحرَم العَيش!

أنا متناقضةٌ جدًا، مُتعَبةٌ مني ومن الوقت..

ومن جلسةِ المحكمة التي لم تحل بعد.

سئمتُ من الحديث مع نفسي، فنزيلتي في الزنزانة عجوزٌ متعجرفةٌ سيئةُ الأخلاقِ بذيئةُ الكلمات. يضايقني وجودها معي.

"انعدام الحرية خانق أكثر من انعدام الحياة"

[24]

بينما تنازع **عروب** وحدتها في الزنزانة، ويؤرّقها التفكير في أمرِ استئناف الحكم بالإعدام. تترقّب فرصة أخرى تبعثها للحياة من جديد بلا مخاوف. استمر كل من **خالد** و**عالية** في البحث عن **عهد** بلا جدوى.

في الواقع، تم اختطاف **عهد** من قبل **كسفيائيل**، وذهب بها بعيدًا حتى يتم حملها، وبعد ذلك يرمى بها على قارعة الطريق. أو العكس تمامًا، فما ستنجبه سيحدّد مصيرها.

تمرُّ الشهور بمعاناةٍ مميتة لدى **عروب**.

**خالد** و**عالية** شعرا بالألفةِ تجاهِ بعضِهما وتقبّلا أمرهما الواقع. تحاول عائلة **خالد** أن تُخلِّصَه من **عالية** بعد ما حدث مع شقيقتيها وأبيها. إذ يشعرون بالعار والخزي تجاهها. نفور عائلته منها وضغطهم عليها وإساءتهم لها جعله يتقرب منها أكثر ويصر على إبقائها بجانبه، وأصبح يعاملها كزوجة. رأى منها ما يسرُّه ويؤنسُه وتعايشَ مع أنها قَدَرَه الذي وهبَه الله إيّاه، ويجب أن يقابله بالشكر، ما جعله يبدّل اعتراضه بالحمدِ والشكرِ والإخلاص لما وهبَه الله.

"عندما ترضى بما قسم الله لك، سيرضيك ويغسل روحك وستجد ضالّتك يومًا ما".

في اليوم الذي سيُحكم فيه على **عروب**، كانت متوترة جدًا، والتفكير والقلق أتلفا أعصابها. كانت تطوف ذهابًا وإيابًا متوجسةً خيفة من الحكم الذي سيُصدَر بشأنِها ويُحدِّد مصيرها.

هل سترفرف نسمات الحرية لتداعب وجهها؟ أم أنها ستُخنَقُ حتى الموت؟

كل ما كانت ترجوه، ألَّا يأتي الموت مسرعًا ليخطفها من الحياة.

وأخيرًا، تقاريرُ كلٍّ من الطبِّ النفسيّ والطبِّ الشرعي أخذ بها القاضي وصار الحكم لصالِحها والحرية حليفتها. حكم عليها بالسجن لمدة سنة. أنصفتها العدالة لتنجو بروحها.

أدركت **عروب** رحمةُ الرب، من حيث نصَرَها وأخرجها من ضيقِ مصيره إلى سِعَتِه ورحمَتِه.

أن تهدي لك الحياة فرصة ثانية لتعيشها بعد أن أتلفتك المعاناة، بالتأكيد ستقتنع بالعيشِ وتستثمر الأوقات التي أصبحت أثمن من أي شيء.

عندما تعلم أن ما بعد العتمة ستشرق الشمس بالتأكيد، ستمضي المحكومية بروح خفيفة. استغليتها بحفظ كتاب الله.

مرت تلك السنة بخفّةٍ، ونادرةٌ كانت زيارات **عالية**. في آخر زيارةٍ لها أخبرتها بأنها مسرورة مع زوجها، وبشّرتها بحملها بطفلةٍ، وطلبت منها **عروب** أن تسميها "**عزّة**".

– ألا تشعرين أنه من الشؤم أن أسمي ابنتي باسم أختي التي قُتلت؟

– لا على العكس، لا أجبرك على تسميتها "**عزّة**" ولكن إن استطعت فافعلي ذلك من أجلي.

– إن شاء الله!

[25]

## عروب

أصبحَ للوقت وللأيام عندي قيمةٌ عظيمة، حَرصتُ كل الحرص على أن أقتني أجندة أشطب فيها كل يومٍ يأفَل. رتَّبتُ أفكاري وأحلامي وأنا متفائلة، ولكن ساورتني بعض المخاوف بأن أحدًا قد لا يرغب بتوظيفِ فتاة خرجت من السجن. لربما سأقاسي أيامًا صعبةً بعد خروجي، لكن لا بأس ما زلت سأتنفس الصعداء وأنا حرّة ولا أصفاد تكبّلني ولا قضبان تحبسني.

لا أخفيكم، حُزني على أبي وعهد لا يفارقني. إنهما نصب عينيّ، فبمجرد خروجي سأستدعي قِسرة وأسأله عن عهد، ولربما نجد طريقة نعيدها فيها. لا أعلم لِمَ تركني قِسرة في منتصف الطريق بعد أن أخبرني بأن قاسم تاب وسيصلح أمر منزلنا. لا بد أن أمرًا خاطئًا حدث له!

تبقى أسبوع فقط، سبعةُ أيام وبعدها ستمتلئ رئتاي بهواءٍ نقيٍّ ومنعِش. ما زلت أفكُّر هل أعود إلى منزلي؟ أم أتخذ لي شقةً أمكُثُ فيها؟

ذكريات منزلنا التعيسة التهمت اللحظات السعيدة. لا أشعر أن بإمكاني مواجهة تلك الذكريات. لن أفسد سعادتي بالخروج بتلك الأفكار السوداوية.

فكرت أيضًا، هل سأجد أحدًا بانتظاري عندما أخرج؟

**وعالية**، هل سترغب باستقبالي في منزلِها؟

سمعتُ أحاديثَ النزيلات بأن أغلب النساء اللاتي يخرجن من السجون لا يجدنَ أحدًا بانتظارهن، فيحلن السجن إلى دار إيواء. أرّقني الأمر بعض الشيء، بالأخص أن **عالية** لم تتصل ولم تأتِ إليّ منذ أن أخبرتني بحملها قبل ثمانية أشهر تقريبًا. لربما تستعد للإنجاب الآن. لا بأس، سأرى ما سأفعل فور خروجي من هنا.

جاء ذاك اليوم المحمّل بالمسرّات، طلبتُ منهم أن يتصلوا بـ **عالية** لأستطيع الخروج، لكنها لم تجب على اتصالاتهم. طلبتُ منهم أن يتواصلوا مع زوجِها لكنه أيضًا لم يكن يجيب على هاتفه. بعد أن جمعت حاجياتي من الزنزانة، وودعت النزيلات بالمباركات، وكانت الفرَاشَات ترفرفُ بين أضلاعي، أعادوني إلى الانفرادي المؤقت إلى أن ينتهوا من إجراءات تسليمي إلى دار الإيواء. لا معلومات لدي عن هذا المكان ولا أريد أن أعرف أي شيء. أريد الخروج فقط فالجدران هنا تخنقني.

شرعتُ في البكاءِ وأنا متألمةٌ جدًّا. هل تخلّت **عالية** عني؟ انطويتُ على المضجع وبلّلته مدامعي. اجتاحني شعورٌ غريبٌ بالوحدةِ، وأنا أسأل نفسي: فقدت كل من حولي، لكن **عالية** هي كل ما تبقى لي. هل نبذتني وقررت تركي ونفيي هنا؟ هل حدث شيء ما معها؟

لست أدري ما العمل!

فجأة دلَفَت إلى زنزانتي سجَّانة، وأخرى ترتدي رداء ناصع البياض. اعتدلتُ في جلستي، فبدَأَت تتحدَّث معي بنبرةِ المواساة وتعطيني نصائح في الصبر واحتساب الأجر، وكرَّرَت على مسامعي "**إنما الصبرُ عند الصدمةِ الأولى**". بعد تلك العبارة شممتُ رائحة الموت!

أبلغتني لحظتها أن **عالية** قد فارقت الحياة وهي تنازع ولادة طفلتها...

"هل يثأر الموتُ لأحدِهم من عائلتي؟ لا أصدّق كيف تُحصَدُ الأرواحَ بغرابة.

هل عائلتي الصغيرة ملعونةٌ بلعنةِ الموت؟ **عزَّة** و**أمي** و**أبي** و**عالية**. و**عهد** التي اختفت في ظروفٍ غامضة ولربما فارقت الحياة هي الأخرى!

لم يتبقَّ لي أحد!

لم يتبقَّ لي أحد!

هي لم تنفِني. لا بد أنها كانت تعاني بشدة، ولم تكن تريد أن تزيد معاناتي.

لذلك لم تتّصِل ولم تأتِ. إنها أسبابها التي كنتُ أجهلها!

صرختُ في وجهِها باكيةً مشمئزَّةً مما نقلته لي.

– أرجوكِ تراجعي عن قولك، **عالية** لم تمت.

عانقتني بودٍّ وربتت على ظهري، وبينما كانت تحاول تهدئتي؛ أصابتني نوبة الهلع مرةً أخرى.

الهلع، يبدو أنه أسلوب حياتي الجديد...

مكثت في المستشفى أيامًا عديدة لم أحسبها. كنت أستفيق لأصرخ وأبكي ويحقنونني بمهدئاتٍ ثم أعود للنوم. رأسي ثقيل جدًا، لا أستطيع رفعه حتى...

دخل **خالد** غرفتي وهو يحمل طفلته بين يديه...

كانت أجفاني ثقيلة جدًا، وبالكاد أستطيع رؤية الأشياء. قال وهو يقاوم رغبته في البكاء:

– **عروب**، من أجلي أنا و**عزَّة**، عودي إلى رُشدِك.

عندما نطق اسم **عزَّة** ابتسمتُ، وحاولت أن أعتدل في جلستي.

مددت يديّ المنهكتين نحوه فوضعها بين ذراعيّ. كانت تشعُّ نورًا! وجمالها لا يوصف بالكلمات حقًّا. تتوه الأبجدية باحثةً عن كلمةٍ تصف فيها تلك الفتاة الجميلة! عانقتها بفائضٍ من الحب وهمستُ في أذنِها:

– من أجلكِ فقط، سأقاوم.

## [26]

تزوجت **عروب** بـ **خالد**، ولا أثر لـ **عهد** أبدًا.

عاشوا ثماني سنواتٍ في هدوءٍ واستقرارٍ، كأيةِ أسرةٍ لطيفةٍ تسودُها المَوَدَّةُ والرَّحمَة.

**عزَّة** الصغيرة كانت ذكيةٌ جدًا، لمَّاحةٌ ومتفوقةٌ في دراستِها، تسبِقُ عمرَها بمراحل.

في أحدِ الأيام الهادئةِ خرجوا للتنزُّه في إحدى الحدائقِ العامة... بينما كانت **عزَّة** الصغيرة تلعب وتلهو هنا وهناك، جَفَلَتْ وركضت إلى حِجرِ أبيها، وهمست في أذنه وهي تشير إلى طفلٍ يمتطي فرسًا:

– أبي، هذا الطفل ستعسِفُ به الفرس وترميه أرضًا، ثم سينزف حتى الموت!

قطَّبَ **خالد** جبينه ونظر إلى **عروب** في استغراب!

وما أن مضت ثوانٍ معدودة حتى حدث ما أخبرته به تمامًا.

أغمَضَت **عزَّة** عينَيها، وانطوت في حِجرِ أبيها خائفة، وشرعت في البكاء:

– أعيدوني إلى المنزل!

أخبر خالد عروب بما همست به عزَّة في أذنه، فهرَعَت إلى غرفة عزَّة، وفتحت راحة يدها، وشهقت مما رأته.

خطٌّ يقطَع كِلتا يديها من المنتصف!

لديها قدرات عزَّة!

إنها ترى كل شيءٍ قبل حدوثه!

هي أعظم مطامع الجنّ والسحرة!

لا بد أن عائلة **عَسَّاف** ستعتاد على رائحة الدماء!

"هل يُبعث الموتى إلى الحياة على أيدي قاتليهم؟"